كتاب

﴿ تصحيح الترجيح ﴾

بين محمد والمسيح

للعبد المؤمن

بجميع الأنبياء والمرسلين . الجنيهي المسكين

محمد

اذا لم تف الميزان في الوزن حقه ... فأنت اذاً بالوزن لست بذي علم

وإن أنت رجحت الذي ليس راجحاً ... دُعيت لدى التصحيح وغداً أخا ظلم

فزن وزن قسط واتئد في اعتداله ... ولا تتعدى بالعمي ظاهر الرقم

فللوزن أرقام تجاوزُ حدها ... يؤدي الى الاجحاف والجور في الحكم

وأحسن حال المرء أن يترك الذي ... تباعد عن درك التصور والفهم

وأسوأ أحوال الغبيّ ادّعاؤه ... إصابة مرمىً ما رآها بلا سهم

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولكن أهل الزيغ في ضلال بعيد

﴿ مبيعه بمكتب ملتزمه ﴾

حضرة الشيخ أحمد علي المليجي الكتبي قريباً من الجامع الازهر بمصر

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمنشئ والملتزم المذكورين ﴾

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ولا حول ولا قوة الا بالله

الخير بالخير والبادئ أكرم . والشر بالشر والبادئ أظلم .

إن حبل الجدال حبلٌ طويل طاف بالزائغين حول جهنم

يا حليف الغرور أهلك الزيغ جدالاً فخله وتعلم

نادى منادي السفهاء في محافل الجهلاء بغياً وفتوناً أيهما أفضل المسيح أم محمد وكان ذلك بمشهد عام يشهده كثير من العوام فلما طرق ذلك النداء مسامع الشهداء قام قائم من العقلاء قلائلاً حسبي الله وكفى بالله شهيداً ان من جوامع الكلم لقول القائل اذا لم تستح فاصنع ماشئت ثم قال ما أسرع ماسلب الناس في هذا الزمن ملابس الحياء ومزايا الخوف والخجل وما أقدر من لا عقل له على ادعاء علم مالا يعلم وما أقدم اخوان الوقاحة والسفه على الخوض في مالا ساحل له من لجج البحار الملكوتية وما أقرب مايتجرأ الأحمق على إعابة الفضلاء وان جهنم لموعدهم أجمعين

ثم ناداه ياهذا ان الموازين لتختلف قوابلها واستعداداتها باختلاف ما تزنه في القيم والمقادير اذ لا يوزن الذهب فما فوقه في موازين الخشب فما دونه ثم انها على اختلاف طبقاتها لتحتاج الى استقامة واعتدال محرر حتى تكون صحيحة الوزن حائزة مزايا الثقة بدقة تحرير ما تزنه وانك الآن قد نصبت نفسك ميزاناً لمقادير مقامات مجدية غيبية لا يزنها الا من بيده ملكوت كل شيء فهل بلغت من الكمال وصحة الاستقامة والاعتدال حداً وصلت به الى الاطلاع على معالم الغيب الذي قال الله فيه (لا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) أو رقيت في المجد القربيّ مقاماً كوشفت فيه بمنازل سفراء حظيرة القدس حتى صاغ لك ان تنتصب للترجيح بين رسولين كريمين كلا انك لميزانٌ فقد لساناً وكفتين وانك يا هذا بما أنت عليه من الغرور والطيش لفي ضلال مبين

يا هذا ان كان التفضيل الذي تنادي به على رؤوس الأشهاد هو بالنسبة لحالهما مع الله ومقدار منزلة كل منهما عند ربه فذلك امر مجهول لمن لم يكن من المقربين اذ هو امر في نفس الحق ماوردت به انباء سماوية ولا ينتج البحث في موضوعه الا غوائل سوء الأدب وافتراء الكذب على الله واقتراح ما لا يجوز اقتراحه على انه محض فضول وتطفل بغير داع يدعو الى ذلك وما وراء ذلك التطفل الا الطرد المؤبد لمن شانته قذورات الوقاحة ثم وان كان التفضل هو باعتبار ما نقله الناقلون عن كل منهما من محاسن الشيم وطيب المزايا فلا سبيل للوصول الى غاية ترجح بها احدهما عن الآخر اذ كل أمة تنادي بألسنة أحوالها وأقوالها أن رسولها الذي آمنت به هو اشرف الرسل حالا واكرمهم عند الله منزلة وهذا اعتقاد لا يزحزحها عنه مزحزح ولا يخرجه من قلوب أفراد الأمتين مخرج ولو جاء بنبأ سماوي وأيد

بمعجزات باهرات ألا ترى اليهود وقد جحدوا رسالة عيسى بعد ما جاءهم بالآيات البينات ثم صلبوه وقتلوه كما زعمتم وما كان ذلك الا لشدة يقينهم بأن رسولهم ما بعده رسول ولا أكرم منه نبيٌّ وكذلك أمة المسيح أنكروا على محمد صلى الله عليه وسلم رسالته ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعصوا أوامر الله عناداً واصراراً محبة في عيسى عليه السلام اذاً فلا يكون ذلك الترجيح الذي تريد أن تثبته بما نقله الامم من محاسن الشيم عن كل منهما الا مساً جارحاً لإحساسات احدى الأمتين بل لكلتيهما لانك اذا انتصرت لإحديهما يقوم في مقابلتك منتصر للاخري فالاولى لك أن تترك هذا التطفل وتجهد نفسك في محو ما ثبت في قلوب قوم موسى من بغض المسيح واتهام أمه فان قلوبهم ما زالت ثابتة على اعتقاد كذبه الى الآن ثم انك لتعلم علم اليقين أن ضعيف الايمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لوجئته بجميع الرسل ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم في مقدمتهم لولى مدبراً وان المذنب العاصي الذى اصبح ضجيع الملاهي لأقوى من كل قوى منكم في ثباته على اعتقاده ومحبة نبيه الكريم وان طأطأت رأسه دواعي المدارات الحالية ولهذا لا يكون الخوض في لجج هذا البحر المتماوج الذى لا قرار له الا اسفل سافلين لمن سبح فيه متعنتاً متعصباً الاطغيان مهلك وغرور مفرق لا فائدة فيه للمتطفلين ولا طائل تحته للمتطاولين فذلك ولهذا المجال الذى لست من رجاله والميدان الذى لم تكن من ابطاله

فقال المسيحي انكم يا أمة محمد لتعتقدون ان القرآن كلام الله ولا شك ان الكلام يعبر عنا في نفس المتكلم وها نحن لا نريد أن نضع لهذا الغرض ميزاناً الا هو ولقد جعلناه المرشد الى الصواب والحكم الذي لا يعاب فلا نفضل أحدهما على الآخر الا بآيات قرآنية كيلا يكون لكم الى الجدل سبيلاً فناداه

الكثير من الحاضرين قائلين أو ترضى القرآن حكماً لا رادّ لحكمه قال نعم وإنا بحكمه لراضوان ونحن وإياكم لديه لمختصمون

فقال لمسلم اذاً يجب علينا ان نسبح في بحار المحاورات حتى نستخرج منها درر البيان المقنع غير أنا نود أن نقف على الغرض الباعث على هذا التطفل مع تقادم عهد كل من الرسولين اذ أقربهما عهداً بينك وبينه الف سنة وثلاثمائة عام وقد كان في ذلك الزمن الطويل من كل أمة من هم أطول منك في البيان باعاً وأسرع في التحرير يراعاً وكانوا أقواماً يشار اليهم بأطراف البنان لا يحذيهم من أمثالك محاذٍ ولا يجاريهم في الفصاحة مجارٍ وقد كان كل منهم مسالماً للآخر لا يتعرض لدينه ولا يتلاعب بإعابة رسوله سيما وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز لرسوله الكريم (لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) وسرى مفعول ذلك القول بين الامتين الى هذا القرن الذي أصبحت من أشراره فما الذي حملك على هذا العمل الوخيم العقبى الذي يسوء الجار ويهتك حرمة الجوار أما وجدت مراحاً تتلاعب فيه غير هذا المجال الضيق كلا ان فنون المجون لا تخفى عن أمثالك وطلاقة العبث لا تضيق بآمالك فهلاّ حولت وجهك عن هذه الوجهة التي لا تقبل التدليس وتنازلت عن هذا المقام الذي ليس لك فيه غير الشيطان من أنيس والا فبين ما أضمرته من الاغراض عسى ان نزيل عن قلبك مؤلمات هذه الامراض

فقال المسيحي يا هذا انا أقوام انتشرنا في أقطار الارض من قبل المسيح مبشرين بعنايته بالنوع الانساني الذي صلب نفسه لتخليصه من الخطيئة فجئنا ندعوا الناس الى الايمان به ليدخلوا ملكوت الرب حيث لا غرض لنا الا ما أراده

المسيح من تخليص الانسان من خطيئة أبويه خدمة للانسانية وغيرة على الجنسية

فقال المسلم يا هذا كلنا نؤمن بأن المسيح رسول الله وجميع أمة محمد من عهد ما آمنوا بمحمد آمنوا بالمسيح وبجميع الرسل فهم الآن غير محتاجين لان تذكرهم بذلك

فقال المسيحي ان المسيح ليس برسول كباقي الرسل ولكنه هو الإله لأنه كلمته وما جئنا إلا لنبشر من آمن به بالفوز العظيم

فناداه المسلم يا هذا لئن كان هذا هو الغرض الباعث لكم على هذا العمل انكم اذاً لفي ضلال مبين فقال لماذا قال لان أسلافكم المتقدمين كانوا أعلم منكم بحال عيسى وأقرب به عهداً وأصدق منكم ايماناً وأكثر منكم بدينه عملا وأشرف منكم مزايا وما تطاولت أعناقهم الى هذا الغرض السيء الذي مقتكم لأجله القلوب واشمأزت النفوس وأوقع بينكم وبين أمة محمد صلى الله عليه وسلم البغضاء الى يوم القيامة ولقد أجلنا الكلام على حالكم وما أنتم عليه من الجهالة والاعوجاج الى أجل قريب حتى ينتهي البحث في حقيقة الامر المطلوب والغرض المقصود فهات ما عندك من الاقاويل التي أعددتها للترجيح من تريد أن ترجحه بالبراهين التي تثبت صحة ما تأتي به وأقم الوزن بالقسط ان كنت وازناً ولا تخسر الميزان فتمقتك أولوا الالباب واياك والتهور في انحطاط درجة من ظننت منهما أنه مرجوحاً حتى يأتيك الحكم الذي ارتضيته بفصل القضا فإني أراك قائماً على شفا جرف هارٍ على متن جهنم مفتوناً بنفسك معجوباً بحسك وها هي علامة الغرور بين عينيك والله لا يهدي القوم الظالمين

فقال المسيحي ان المسلمين والمسيحيين يتفقون في اشياء كثيرة كالاعتقاد بوجود اله واحد واجب الوجود وان ابوينا الاولين آدم وحواء أغواهما الشيطان

وصارا خاطئين وأن الله أرسل أنبياء ومعلمين كثيرين الى العالم ليخرجوا الناس من الضلال الى الهدى ومنهم نوح وابراهيم ويوسف وموسى وداوود وغيرهم ممن أنزل الله عليهم التوراة والزبور وبعدهم جاء يسوع المسيح بالانجيل وغير ذلك من الامور المتفق عليها والمعترف بها عند الامتين الا أن اخواننا المسلمين يختلفون عن النصارى باعتقادهم ان نبياً اسمه محمد جاء بعد المسيح وانه خاتم الانبياء وأعظم المرسلين ودينه الحق وباتباعه دون غيره يحصل الخلاص والمسيحيون ينكرون عليهم ذلك ويقولون ان المسيح هو خاتم الانبياء وأعظم منهم بما لا يقاس وبه وحده الخلاص وعلى ذلك تكون نقطة الخلاف بينهما هي أن المسلمين يعتقدون في محمد ما يعتقده المسيحيون في المسيح

وللوقوف على الحقيقة نعمل مقارنة بين الاثنين أي محمد والمسيح ونتبع من يتضح لنا صدقه وقدرته على خلاصنا ولذلك نتأمل

أولاً (في ولادتهما) فنقول ان أبا محمد هو عبدالله وأمه آمنة وقد ولد منهما كما يولد أي ابن آخر من أبويه بدون حصول أمر خارق للعادة ومضى عليه جملة سنوات ولم يشر اليه بأمر عجيب ولا حكي عنه شيء غريب ولما بلغ من العمر أربعين سنة جعل يقول للناس ان الملك جبرائيل قد كلمه مع انه لم يظهر عليه قبل ذلك الوقت أمر من الامور يعلم الناس منه انه أهل لان يكون نبياً نعم ان بعض المسلمين الجهال يروون عن ولادته حكايات غريبة وهي في الحقيقة مختلفة وملفقة وعقلاؤهم يوافقوننا على ذلك لانه لا يوجد في القرآن شيء يؤيدها أو يشير اليها ولو اشارة بسيطة

واما ميلاد يسوع المسيح فكان بطريقة عجيبة غريبة ذكرها القرآن في قوله في سورة مريم « قالت إني أعوذُ بالرحمنِ منكَ إنْ كنتَ تقيا قالَ

إنما أنا رسولُ ربك لأهبَ لكِ غلاماً زكيّاً قالتْ أنّى يكونُ لي غلامٌ ولمْ يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغيّاً قالَ كذلك قالَ ربكِ هوَ عليٌّ هينٌ ولنجعلهُ آيةً للناسِ ورحمةً منا وكان أمراً مقضيّاً»

ولم ينكر أحد ما ذكره القرآن بغاية الصراحة من أن جبريل أرسل من قبل الله ليخبر مريم سلفاً عن ولادة يسوع المسيح بدون ان يمسها رجل الامر الخارق للعادة ونواميس الطبيعة

وقد جاء في سورة الانبياء قوله «والتي أحصنَتْ فرْجها فنفخنا فيها منْ رُوحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالمين» وهو اعتراف صريح أيضاً من القرآن بأن المسيح روح الله

وزيادة على ذلك فقد أنبأت الانبياء عن ولادته بالكيفية العجيبة الغريبة التي ذكرها القرآن قبل ولادته بعدة أجيال اذ نجد مثلاً أشعياء النبي يقول قبل ولادة المسيح بسبعمائة سنة «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» ويقول الانجيل ان معنى لفظة عمانوئيل هو «الله معنا».

والانجيل يقول فدخل اليها (أى مريم) الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء ولما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية فقال الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العليّ يدعى ويعطيه الرب الاله كرسيّ داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية فقالت مريم للملاك كيف يكون هـذا وأنا لم أعرف رجلاً فأجاب الملاك وقال لهـا الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله

فالقرآن والانجيل يتفقان في كون المسيح ولد بطريقة عجيبة وانه روح الله ولذلك يكون أفضل من محمد من حيثية ولادته

ثانياً (صفاتهما) لو تأملنا في صفات كل من الاثنين لوجدنا فرقاً عظيماً بينهما لان محمداً ولد كسائر الناس بالخطية وكسائر الناس كان خاطئاً ويؤيد ذلك ما جاء في القرآن في قوله « ووجدك ضالاً فهدى » سورة الاضحى وقوله « ووضعنا عنكَ وزركَ الذي أنقضَ ظهركَ » سورة ألم نشرح وقوله أيضاً « فسبح بحمدِ ربكَ واستغفرهُ إنهُ كان توّاباً » سورة النصر وقوله أيضاً « فاصبرْ إنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ واستغفر لذنبكَ » سورة المؤمن وقوله أيضاً « ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدمَ منْ ذنبكَ وما تأخرَ » سورة الفتح وقوله أيضاً « استغفرْ لذنبكَ وللمؤمنين والمؤمنات » سورة محمد وفي الحديث قال محمد « يا رب اغفر ذنوبي المتقدمة والمتأخرة السرية والجهرية وافتح باب رحمتك لي »

ومما تقدم يتضح جلياً ان محمداً كان خاطئاً كسائر الناس واما يسوع فكان بلا خطيه ويؤيد ذلك ما جاء في القرآن من أن الانبياء الذين وردت أسماؤهم فيه استغفروا الله عن ذنوبهم ولم يذكر شيء من ذلك عن يسوع المسيح بل بالحري ورد عنه في سورة النساء قوله « انما المسيحُ عيسى بنُ مريمَ رسولُ اللهِ وكلمتهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منهُ » وقوله أيضاً « إنَّ اللهَ يبشركِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيحُ عيسى بنُ مريمَ » ويعلم من هاتين الآيتين ان المسيح هو ذات كلمة الله وذات روح الله بخلاف البشر جميعاً فانهم مخلوقون بالكلمة وليسوا هم ذات الكلمة ومخلوقون بالروح وليسوا هم ذات الروح ويترتب على كون المسيح هو ذات كلمة الله وذات روح الله عصمته عن الخطية ومعادلته أيضاً لله في جميع صفاته بدليل ان الكلام صفة المتكلم

والانجيل كتب عن المسيح قبل ميلاده بما يثبت عصمته حيث جاء فيه على لسان جبرائيل لمريم «القدوسُ المولودُ منكِ» وجاء فيه أيضاً قول المسيح عن نفسه لاعدائه «من منكم يبكتني على خطية» وقال أيضاً في موضوع آخر «رئيس هذا العالم (ابليس) ليس له فيَّ شيء» ومكتوب عنه في رسالة بطرس أحد الحواريين قوله «الذي لم يفعل خطية»

ومما تقدم نرى ان القرآن والانجيل والمسيح نفسه وحواريه الكل يشهدون للمسيح بكونه طاهراً من كل اثم وقدوساً بخلاف محمد فقد شهد القرآن انه كان خاطئاً ولذلك يكون المسيح أفضل منه من حيثية صفاته

ثالثاً (معجزاتهما) اذا تأملنا في معجزاتهما نجد ان محمداً لم يصنع ولا معجزة واحدة ولكن بعض اخواننا المسلمين يدعون بان القمر انشق له شطرين والجمل كلمه وقدمه علم في الصخر وغير ذلك مما يطول شرحه على اننا لو بحثنا في هذه الدعوى نجد ان المعجزات المروية عنه كتبت بعد موته بأكثر من مائة سنة ولذلك لا يجب تصديقها بدون وجود أدلة أخرى تؤيدها لانه لو قال أحد انه رأى رجلاً من مدة عشرين سنة مثلا فتح عيني أعمى فيمكن تحقيق دعواه واقامة الدليل عليها ومعرفة صدقها وكذبها بخلاف ما لو ادعى دعوى مثلها وقال بحصولها منذ مائة أو مائتي سنة اذ لا يمكن تحقيق ما يدعيه لتقادم العهد وموت كل الذين كانوا أحياء حينئذ ورأوا المعجزة فلا نقدر نسألهم ولا يقدرون على اجابتنا

وعلى ذلك لا يمكن الاعتقاد بحصول معجزات من محمد ما لم يوجد دليل آخر يؤيد مايدعيه بعض دعاته حيث لا يوجد دليل على صحة ما كتب عن معجزاته بعد موته بعدة أجيال لاسيما وان القرآن يقوم في وجوه من ينسبون له صنع المعجزات ويكذبهم واليكم البرهان من نفس القرآن في قوله (وقالوا لولا

نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) سورة الانعام . وأيضاً قوله في سورة الاعراف (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى اليّ من ربي هذا بصائر من ربكم وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون . وقوله أيضاً في سورة الرعد (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه انما أنت منذرٌ ولكل قوم هاد) . وقوله أيضاً في سورة بني اسرائيل (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذّب بها الاولون)

ويتحصل من مجموع تلك الآيات أمران أولهما ان محمداً لم يأتِ بمعجزة لان الله لم يشأ ان يهب له قوة المعجزات وثانيهما ان القرآن ليس بمعجزة اذ لو كان معجزة لما صح ان يجاوب محمد الكفار بقوله « قل ان الله قادر على ان ينزل آية » ولكان الجواب قل ان القرآن آية لان الكفار طلبوا منه مجرد آية بدون قيد فلو كان القرآن آية لما تأخر عن الاشارة اليه في الجواب المتقدم وعليه يكون الاعجاز منفياً عن القرآن ضمناً

ولو سلمنا جدلا بحصول المعجزات الوهمية الخرافية التي ينسبونها اليه فأي فائدة عادت منها على النوع الانساني وهل شق القمر وتأثير القدم في الحجر وعدم تأثيره في الرمل وكلام الجمل يشفي عليلا ويروي غليلا و يشبع جائعاً ويقيم واقعاً كما عمل المسيح في آياته الباهرة ومعجزاته الظاهرة من ابراء السقماء وشفاء المرضى وتفتيح أعين العميان واقامة المقعدين وتطهير البرص واطلاق ألسنة الخرس واحياء الموتى كما شهد له التاريخ والانجيل والقرآن نفسه وهنا يجب بان نلاحظ ان جميع الانبياء انما عملوا المعجزات باسم الله أما يسوع المسيح فكان يعملها باسم ذاته كمن له سلطان

(رابعا موتهما) الوجه الرابع من الاختلاف بين يسوع ومحمد هو ان

محمدا مات كسائر الناس باقرار الجميع أما يسوع المسيح ففي القرآن روايتان عن موته أولاهما قوله (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ) وقوله السلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) وثانيتهما قوله (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) وعلى كلتا الحالتين اذا كان المسيح مات وقام كما قيل في الرواية الاولى أو لم يمت ورفعه الله الى السماء كما قيل في الرواية الثانية فهو أفضل من محمد ولولا ذلك لما كان موته ورفعه عجيبين ومعجزين كما حصل أيضاً في ولادته

والانجيل يقول صراحة ان اليهود صلبوا المسح وبعد الصلب بست ساعات مات ووضع جسده في القبر وقام في اليوم الثالث وربما يقول البعض اذا كان المسيح ومحمد ماتا فما الفرق بينهما فنقول ان الفرق بينهما هو أن محمدا مات ولم يقم اما المسيح فمات وقام بعد ثلاثة أيام كما هو ثابت من القرآن والانجيل بشهادة الاربعة الحواريين والتلاميذ الذين ظهر لهم المسيح بعد قيامته وكذلك الاخوة الذين كانوا مع التلاميذ ومكث أربعين يوماً يتردد عليهم ويعلمهم التعاليم المفيدة واعدا اياهم بارسال الروح القدس ليعزيهم ويعلمهم وأخيرا صعد بهم الى جبل بقرب أورشليم وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد في سحابة الى السماء وهم ينظرونه حتى توارى عن أعينهم

ولعل البعض يعترض قائلا لماذا مات المسيح وهو قد ولد بطريقة عجيبة وكان معصوماً عن الخطية وصنع آيات باهرة واذا كان حقيقة ابن الله فلماذا لم ينجه أبوه من أيدي اليهود فنجيب على هذا الاعتراض قائلين ان أباه هو الذي

أسلمه اليهم كفارة عن خطايا العالم كما يقول الانجيل (هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الابدية) والمسيح عن طيب خاطر قدم نفسه للموت ليكفر عن خطايا العالم لانه لا يمكن غفران أي خطية بدون كفارة كما نص الله في كتابه المقدس حيث يقول بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ولو عدل الله عن الكفارة لانتفى عنه العدل وحاشاه سبحانه وتعالى

وبما ان المسيح بالنظر لذاته غير مستوجب الموت لانه قدوس خال من الخطية والموت أجرة الخطية ولكنه بصفة حامل خطايا العالم وجب عليه الموت كفارة عن الخطايا وهنا ربما يقول البعض لِمَ لَمْ يمت واحد غيره كفارة عن خطايا الناس فنقول ان هذا غير ممكن من وجهين

الوجه الاول : انه لم يوجد ولن يوجد انسان خالٍ من الخطيئة يصلح لان يكون كفارة

والوجه الثاني : لا يمكن ان دم انسان واحد يكفر عن خطايا العالم ومن هو هذا الانسان الذي قيمة دمه تعادل قيمة دماء العالمين وتزيد عليها زيادة عظمى غير محدودة الا ابن الله الذي قال عنه لسان الوحي (من يؤمن به ينل غفران خطاياه ومن لم يؤمن به يدن) وقد تنبأ عنه اشعياء النبي في التوراة حيث قال (وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا وتأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه أثم جميعنا) وقال يسوع نفسه انما جئت لاقدم حياتي فداء عن كثيرين وجاء في رسالة بطرس الاول (هو نفسه حمل خطايانا في جسده على الخشبة المسيح تألم من أجل الخطاة البار من الاثمة)

فتأملوا الآن ياحضرات اخواننا المسلمين وتفكروا واحكموا أي الاثنين يقدر ان يهبنا الخلاص الحقيقي هل هو المسيح الذي نص القرآن والانجيل صراحة بقدرته على خلاصنا وعاش عيشة تبرهن على أهليته لهذا الامر وعلى انه دون غيره المخلص الوحيد أو هو محمد الذي أقر بنفسه ونهد القرآن انه عاش في الخطية كبقية الناس وتزوج مرارا كثيرة وجمع بين عدة زوجات منهن زينب التي كانت زوجة لزيد ابنه بالتبني ولم يستنكف من ورود ذلك المورد وزد على ذلك انه لم يؤيد دعوته الا بقوة السيف وكم اراق في سبيل ذلك دماً بريئاً أي عكس ما عمل المسيح الذي عاش بالطهارة والقداسة وعوضاً عن انذار الناس وقتلهم كان يعزي الحزين ويطلق الاسير ويعتق الرقيق ويجبر الكسير ويشفي المريض ويحيي الميت ويهدي الناس الصراط المستقيم وينهاهم عن المنكر ويأمرهم بالمعروف وأخيرا سلم نفسه ليكون كفارة لخطايانا ورضي حتى بموت الصليب فعلى ايهما تعتمدون ومن منهما يقدر ان يهبنا الخلاص اذا قلتم محمد فكيف الخاطئ يخلص الخطاة أتظن ايها القارئ انه لو تقدم لص أمام قاض ليشفع في لص مثله يقبل القاضي شفاعته والا يستشيط غضباً فيضاعف عقاب المشفوع فيه عوضاً عن تخفيفه فاذن يسوع المسيح البار الذي ولد بلا خطية وعاش بلا خطية هو وحده قادر دون سواه على خلاصنا وهو دون سواه يشفع فينا كما جاء في الانجيل بالوحي على لسان يوحنا الحواري (ان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الله الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً) وقال بولس الحواري أيضاً بلسان الوحي « انه (أي المسيح) قادر ان يخلص الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم » فالتجئوا الى يسوع وآمنوا به فتخلصوا من خطاياكم

لانه هو المخلص الوحيد وقد قال في الانجيل (تعالوا اليَّ ياجميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم)

واعلموا ان المسيح سيأتي ثانياً في اليوم الاخير ليدين كل البشر وجميع الذين يقبلون الانجيل ويؤمنون بيسوع المسيح ابن الله يسكنون السماء ويتمتعون بالحيوة الابدية وأما الذين يرفضون الانجيل ولا يتكلون على يسوع للخلاص فيطرحون في جهنم النار (لانه ليس بأيدي غيره الخلاص وليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص)

أخيرا يامن يطلع على هذه الاقوال احكم بماتراه مطابقاً لكلام الله وقصده الالهي وتمسك بالايمان القويم ونسأل الله ان يبارك لك في هذه الكلمات ويجعلها واسطة في ارشادك الى حمل الله حامل خطايا العالم له المجد الى أبد الآبدين آمين

ثم طوى ذلك المسيحي مكتوبه وجلس ينتظر جواب المسلم وقد ظهرت على وجهه علامة الخجل لما تبين له من ملل السامعين ومقت المتكلمين فقام المسلم قائلا

اذ المرؤ وافاه من الطيش طائف ... وما أدركته في المبادي الزواجر

تطاول في الطغيان جهلاً وغرّةً ... الى مصرع في المقت ما فيه آخر

ثم التفت الى من حضر قائلاً لقد وصف هذا الرجل المسلمين في غير موضع من مقاله بانهم اخوانه ولكنه ما راعى حقوق الاخوية التي قام يدعيها لأن توسع في هدم أساس دينهم والخوض في عرض نبيهم وذلك دليل على شدة العداوة وعلامة على البغضاء وكمد الحسد فما مثله إلا كمثل صعلوك كان في رعاية راع من رعاة الملك ثم قيل له ان ذلك الراعي يحبك لانك من رعاياه ويحب أنك تسير على الجادة التي أمر الناس أن يسيرون عليها فلما مات ذلك الراعي

وانتقلت الدولة لغيره لم يزل ذلك الصعلوك هو ومن هم أمثاله في ضعف العقل وخساسة الرأي مصممين على متابعة ذلك الراعي حيث لم يشعروا بأنه ما هو إلا عامل من عمال الملك الذي هو فوق كل عامل ثم قام ذلك الصعلوك موقظاً للفتنة بين الرعايا قائلاً بأن الرعاية ما زالت من حقوق راعينا الاول وما زال يذكر أعمالاً للعامل الذي يبغضه على أنها من المساوي وما عملها ذلك الراعي الا رعاية لمصالح رعيته اتباعاً لاوامر مليكه فلما سمع القوم كلام ذلك المفسد الغبي انقسموا الى فريقين فريق جهلاء أغبياء لا تمييز لهم ركنوا الى خزعبلات ذلك الاحمق ولكن الحياء والخوف منعاهم عن التظاهر بمتابعته وما هم الا شرذمة سفهاء قليلون لا قياس لحالهم بين القوم الا حال البهائم وأما الفريق الآخر وهم السواد الاعظم فانهم قالوا ان هذا الرجل السفيه ليهزي كما يهزي المريض لشدة المرض وكل من كان هذا حاله لا جزاء له الا صفع النعال فمزقوا نعالهم على ذلك القفا وما اغتروا بخداعته ولين خطابه لعلمهم أن ذلك حرفة كل غرور منافق ولتحققهم أن راعيهم صادق العزيمة كامل المروءة شريف النفس طاهر الطوية منزه عن الاغراض النفسية والاهواء الشيطانية وأنه ما خالف أوامر الملك ولا زاد فيها من تلقاء نفسه ولا نقص وأنه أجهد نفسه في القول والحال والعمل في تربيتهم وتأديبهم ومراعاة الصالح لشؤونهم وما انصرف عنهم حتى استقاموا على منهاج قويم لا اعوجاج فيه اخواناً أحباء على قلب رجل واحد فيما أقامهم فيه وما تركهم الا وهم أولو قوة وألوا بأس شديد لصدق نيته وصحة دعوته وقوة سلطانه وعناية الملك بنصره وتأييده بجنود من عنده لانه كان ذا عقل وافر وهمة قوية عالية وقلب رحيم وتدبير حسن وسياسة سامية وما أرسله الملك الا قوي الجنان والعقل ليصدع بأوامره قلوب الاقوياء والجبابرة

وأمره بأن ينشر منشوراته بكل عمل تستدعيه ظروف الاحوال تارة بالحكمة والتدبير وطوراً بالمصادمة والقتال وقد كانوا يعلمون أن العامل الذي كان قبله لم يكن ذا قوة ولا سلطان بل كان يسوس الناس بملاطفة الاقوال ويستميل القلوب بغرائب الاحوال فعلموا عظم منزلة الراعي الاخير عند مليكه لما ثبت في قلوبهم من أنه ما أمده بتلك الإمدادات الا لأنه أراد ان يجعل رعايته مستديمة المدد مستطيلة الأمد ولما تحققوا ذلك وايقنوه بالبراهين القائمة على صحته نبذوا أقوال ذلك المفسد ظهريا وأوسعوه سباً وهجروه وما كادوا ان يرمقونه برأيا العين هذا هو مثل هذا المفسد الذي ما أظنه الا من فلاسفة الامة المسيحية لأن هذا الزمن ما أفسد اهله الا انتشار أفراد هذه الطائفة في كل ملة لإطفاء نور كل دين تدينت به الامم وما ذلك الا لانهم لا يؤمنون برسالات سماوية بل يقولون ان النبوة مكتسبة بمعنى ان كل عاقل في قوته ان يتنبأ ولذلك الاعتقاد يبغضون كل متعبد ويسخرون بكل تقيّ محافظ على نسك دينه من أي ملة وما أظن هذا الرجل الا من أفراد تلك الطائفة التي دنست أبناء هذا الزمن وجعلتهم وقودا لجهنم وبثت في قلوب المفتونين الغرور والجهل ودست دسائس الزيغ في كل حديث منتشر وليس من الحزم وصدق الايمان الركون إلى ماتواتر على السنة سفهاء هؤلاء القوم الذين لا دين لهم ولا يعادون الا من يحبهم الله ولا يخوضون الا في آيات الله وأعراض أصفائه وإنهم لهم الاعداء للأديان والمتدينين ولقد نهاكم الله عن الركون اليهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وما من عدوّ لكم ولنبيكم في هذا الزمن أشد عداوة واكبر ضررا من هؤلاء السفهاء الذين

زعموا مصادقتكم ولقد جاء في أقوال العقلاء مانصه : لا تلق لعدوك سماً . فانك لاترتجي منه نفعاً . وان العدو المداهن لأقرب أذى وأدهى خطراً من الثعبان الذي إن تلمسته وجدته ليناً ولكن ظلمة القبر بين شفتيه فمن أحس منكم من نفسه ريباً في أمر دينه فليرجع الى أتقياء الأمة وليتحصن من هذه الفتن المريبة المهلكة بصدق الايمان وقوة اليقين والبحث عمن يرشده الى الصواب ويزيل من قلبه ماتلقيه اليه الاشرار من هذه الشرذمة التي ظهرت في هذا القرن الذي أمطرت غيوم الشبه فيه فتناً وأنبتت ربوة الزيغ شرورا وهذا أوان التحفظ الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فعليكم باتباعه قبل ان تضلوا فما بعد أكلها توزن الفاكهة ولا بعد العجن يكال الدقيق وهل بعد التصديق شك أو مع تواتر الانباء الصادقة تكذيب ان هذا لشيء عجاب فاحترسوا يا اخواني ان كنتم مؤمنين من قوم سفهاء قاموا يعيبون نبياً أميناً مضى عليه الف وثلاثمائة عام وهو مطاع الامر مجاب الدعوة ضياء شريعته عام ونورها ساطع ودينه أقوم الاديان فما طمعوا في إضلالكم الا لاضمحلال حالكم وقبح أعمالكم وانتشار الفلاسفة فيما بينكم وتلاعبهم بالدين وتسميته بالحضارة والتمدن وانهم والله لن يغنوا عنكم من الله شيئاً يوم تكون كل نفس بما كسبت رهينة فأوصيكم بالثبات وسلوا الله مقلب القلوب أن يثبت قلوبكم على دينه القويم (ومن كفر منكم فان الله غني عن العالمين

ثم وجه ذلك المسلم وجهه للمسيحي قائلاً : يا هذا أما خوضك في عرض هذا النبي الكريم فما علينا الا ان نكل أمر الجزاء عليه لعالم السر والنجوى ولسنا ممن يرى جواز الطعن في الرسل حتى نقابل هذا بذاك لأن ما يشين أحد الإخوة يشين الباقين ولكننا نرى أن نبين لك اعوجاج ميزانك بالبراهين

القاطعة عقلاً ونقلاً ثم نوافيك بما تقف به على حقيقة جهلك من الحكمة والموعظة الحسنة عسى أن يهديك الله صراطاً سوياً

يا هذا انك فيما جئت به من البهتان لقد أخرجت محمدا صلى الله عليه وسلم من دائرة النبوة ومحوت اسمه من ديوان المرسلين وانه وان كانت الشمس لشدة ضوئها لا تحتاج الى دليل يثبت وجودها ولكن الاعمى ربما توهم ان حرارة الشمس التي غلا بها دمه لهب نار موقدة قاربت ان تصل اليه فلا يدرك ذلك الاعمى حقيقة ماتوهمه إلا باحد الامرين إما بزوال العمى أو أن تختطفه النار التي توهمها فلذلك تعين علينا ان نزيل عن قلبك غشاوة الجهل حتى تهتدى الى ضياء السراج المنير الذى ناداه الله بقوله (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيرا) ولقد أجلنا الكلام على مقامه الشريف الى نهاية زوال ماأوردته من الشبه المضلة عن عقول هؤلاء الضعفاء والحق أحق ان يتبع

يا هذا لقد استشهدت على صدق ميزانك الذى رجحت به عيسى عن محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين بأربع شهود ولكني لا أرى من شهودك محسناً للشهادة ولا أرى استشهادك بما استشهدت به الا تمويهاً تخيلت انه يسحر عقول الضعفاء لتسلط سلطان السفسطة على مخيلتك وتعلق شيطان الغرور والافتتان بعلائق قلبك ولكن الحق لا يثبت امامه شيطان وحجة الله لا يقاومها برهان فلذلك نقول

﴿ الشاهد الاول مبحث الولادة ﴾

ياهذا ان من أعجب العجب ان تأتي بهذا شاهداً على التفصيل مع علمك بان قدرة الله صالحة للاتيان بكل عمل لم تره الاعين ولم تسمع به الآذان ولا

يخطر على قلب بشر وان اعمالها كلها ابداعية على غير مثال يعهد لا بقصد تفضيل مخلوق على الاخر ولكنه تعرفاً للعباد ليعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ألا ترى أن خلق آدم كان أبدع من خلق عيسى وما ذكر الله عن شيء من المخلوقات أنه خلقه بيديه الا آدم ثم قال للملائكته قبل ان يخلقه (اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وما قال ذلك في عيسى وها أنت اليوم تعد آدم خاطئاً وتقول ان المسيح هو المخلص له من الخطيئة اذا فلا دخل لأحوال التكوين وشؤون التصوير في تفضيل الخلائق على بعضها ولو كان لذلك دخل لكان آدم افضل من عيسى ومن غيره وكان هو الابن الاول ثم ان عيسى قد تساوى بحوّى في حالة الإيجاد لانها جاءت بلا أم وعيسى جاء بلا أب فكلاهما متساويان في الإبداع والتكوين وما هي الا كلمة من كلمات الله تعالى اذ لولا كلمة كن لما كان كل كائن وان قلت ان عيسى بشرت به أمه وأوتي الحكم صبياً وقال لقومه والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً نقول لك ان يحيى بشر به زكريا وأوتي الحكم صبياً كما أوتي عيسى وقال الله في حقه (والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) ولقد كان ايجاده في الإبداع أغرب واعجب من ايجاد عيسى ولذلك قال أبوه عند ما بشرته الملائكة ما حكى الله عنه بقوله (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً قال أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) فأجابه الملك بقوله تعالى (قال كذلك قال ربك هو عليّ هين) ثم استشهد له الله على كمال قدرته بقوله (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) وهذا الاستشهاد دليل على أن أعمال الله كلها إبداعية وأن وجود الأب والأم ليس بشرط

في التكوين ولا يتوقف اقتدار القدرة في الخلق على وجودهما وما هما الا سببان ظاهريان وجودهما كعدمهما عند القدرة متى تعلقت بإيجاد مخلوق اذ لو كان زكريا متوقفاً على وجود أبويه لما قال له الله (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) يريد أن ايجاد ولدك كإيجادك سواء بسواء ولقد كان وجود يحيى من لا شيء لأنه جاء من أم عاقر لا تلد ومن أب بلغ من الكبر عتياً وأما عيسى فجاء من بكر عذراء صالحة لأن تلد فأيهما الأفضل وليس للسلام الذي حكاه الله عن يحيى وحكاه عيسى عن نفسه معنى الا الطهارة من كل عيب يدنس أحدهما في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهو الذي حكاه الله عن عباده الاصفياء بقوله (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ومن نوح بقوله (سلام على نوح في العالمين) وعن ابراهيم بقوله (سلام على ابراهيم) وما هو الا الخليل الذي جاءته رسل ربه بالبشرى وقالت زوجته (يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب . (قالوا أتعجبين من أمر الله) أليس هذا هو أيضاً جاء من لا شيء أليس أوقع في النفوس وأكبر عجباً من ولادة عيسى ثم إنك لتعلم أو يعلم العقلاء إن كنت جاهلا أن الله سبحانه وتعالى يخلق من الطين في كل يوم بل في كل ساعة من أصناف الدواب والحشرات مالا يحصى عدداً بلا أب ولا أم وكذلك من الهوى ومن الماء ومن النار ولو تأملت نفسك لوجدت خلقك من نطفة وهي من الغذا والغذاء من الطين ولولا كلمة الله لم تكن وإنه ليخرج منك قملا بغير أبٍ ولا أم فما الذي أرابك في خلق عيسى عليه السلام حتى تصورته إلهاً أو إبن إلهٍ وفضلته على جميع الانبياء فان كان ذلك بسبب نفخ الله في مريم من روحه فما نفخ في آدم الا من روحه كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهكذا كل المخلوقات أعني المواليد يصورها الله في بطون أمهاتها وينفخ

فيها الروح وليست الروح الا من أمره كما قال لنبيه (و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) ولئن قلت ان الروح التي حلت في عيسى ليست من مادة باقي الارواح بل هي كلمة الله والكلمة عين المتكلم فكانت ذات الله هي الحالّة في مريم فلذلك جعلناه إلهًا أو إبن إله نقول لك إن الكلمة التي حلت فيها هي التي حلت في الطير الذي كان ينفخ فيه عيسى فيكون طيرًا اذًا فيكون ذلك الطير مساويًا لهُ في الخلقة والأفضلية وليس لعيسى على الطير درجة إلا سبق الوجود وكذلك كل كافر أحياه عيسى بعد ما كان عظامًا نخرة بكلمته يكون مساويًا لهُ في الفضل لاتحاد مادة الإيجاد ألا وهي الكلمة التي حلت في عيسى عليه السلام لأنه لم يفعل ما فعل إلا بها وإن قلت إن فعله كان بنفسه لا لأنه محل الكلمة بل لأنه إله مستقل بنفسه يكون كل من حلت فيه كلمته إلهًا أو إبن إله وهذا أمر لم يقل به أحد غيركم يا معاشر المسيحيين وما ذلك إلا لأنكم قوم لا تفقهون ولا تعقلون وبهذا تعلم علم اليقين أن شؤون التكوين والإيجاد لا دخل لها في أفضلية الموجودات كائنة ما كانت فلا حق لك في جعل ولادة عيسى شاهدًا على تفضيله كما سبق بيانه وإن لم تعترف بصحة ما قلناه فقد غلبت عليك شهوة الإصرار والمكابرة وهذا مما يسقطك من أعين الناظرين وقلوب السامعين

وأما استدلالك بأن القرآن ذكر ولادة عيسى وما فيها من خوارق العادات ولم يذكر ولادة محمد صلى الله عليه وسلم فذلك من هزي الاطفال جهلاً بمواقع الخطاب وهكذا كل مجادل فقد أنوار بصيرته يتلمس ما يرتكن عليه ليجعله مستندًا لشبهته فيعلق بما يصادف قريحته الصمّا من النزغات الشيطانية بغير تأمل . ألا ترى أن أرباب البصائر النيرة يعلمون من فحوى خطاب الله تعالى أنهُ لم يذكر ولادة عيسى وما جرى فيها من خوارق العادة الا رحمة به

وبأمه إذ لولم يتداركها الله برحمته بإشارتها لولدها في المهد فتكلم لَقنتها قومها وطردوها وكانت تكون عليه أقسى من الحجر وربما كانت تلقي بهِ في مواقع التهلكة حياءً من الناس وخجلاً فثبتها ربها بالآيات البينات حتى تحنَّ لولدها وتعلم فضله وتقوى على مدافعة السفهاء ومقاومة المتقولين ألا ترى أنها لم تجد من يأتيها بما تأكل لدى الولادة (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربكِ تحتكِ سرياً وهزّي اليكِ بجذعِ النخلةِ تساقط عليكِ رُطباً جنياً) فأكلت وما ذلك الا رحمة من الله بها أترى أنه سبحانه وتعالى يجعلها محلاً لهذا التكوين الخارق للعادة ثم يتركها تتقلب في حجر الهموم والاهوال التي تصيبها من قومها كلا إن ربك لرؤوف رحيم وهكذا كانت رحمته بكل مخلوق احتاج لمعونته إذا انقطت بينه وبين الأسباب العلائق ولو شئنا أن نشرح لك بعض ما وقع في الكون من أمثال ذلك لما وسعته الأوراق ولكن ذكر المعلوم تحصيل حاصل لاطائل تحته فأي داع يستدعي الحكمة الإلهية لذكر ولادة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن أسمعت أن متقوّلا من المتقولين قال أن محمداً جاء من سفاح كما قالت اليهود في عيسى ابن مريم التي برأها الله بكلامه من قبل ومن بعد لكيلا يتوهم المؤمنون بهِ من أمة محمد صدق اليهود في انبائهم وإنهم لشهود على الأمم يوم القيامة إلا من ستر الله عنهم انبائهم كما قال (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فلذلك ذكر لهم قصة عيسى مع باقي القصص التي وردت في القرآن تبرئة لمريم وتزكية لعيسى وتكذيباً لمن افتروا الكذب ولولا هذه الدّواعي لما جاء بذلك القرآن ولولا ما توهمه اليهود في مريم ما برأها الله بما جاء به من خوارق العادات وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلم يحتج لشيء من ذلك لا هو ولا أمه فكانت براءة مريم كبراءة عائشة رضي الله عنها إذ

أنزل الله الآيات المكذبة لمن تقولوا عليها الكذب فلو أن لئامكم وسفهائكم ما أحاطت بهم خطاياهم لشكروا الله سبحانه وتعالى على ما أنزله من القرآن الحكيم وأثنوا على نبيه الصادق الوعد الأمين ولكن كل لئيم دأبه أن يقابل الحسنة بالسيئة أتظنون مع جهلكم هذا وفرط سفهكم أن واحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين تأدبوا بآداب الشريعة يقوم في مقام الجدل قائلاً لكم ماتقوله اليهود إلى الآن قذفاً في حق مريم وتكذيباً لعيسى عليه السلام لا والله لا يكون ذلك ولكنهم يعتقدون أنكم قوم مجرمون مرقتم من كل دين وآذيتم المسيح في إخوانه واسخطتم الله وأرضيتم الشيطان وما مثلكم فيما تقولون الا كمثل أعرابيّ من سكان البادية قام يفاخر سكان المدن بقوله إن الأعشاب التي تنبت بلا عمل في الوديان أفضل من البر الذي لا ينبت عندكم الا بعمل العاملين فالواجب عليك الآن أن تتنازل عن التمسك بهذا الشاهد الذي لم يقم بواجب الشهادة ولم يؤدها على وجهها وأعني به شاهد الولادة فقد سقطت شهادته وبطلت دعواك لسقوطها والله يقول الحق ويهدي السبيل

(الشاهد الثاني شاهد الصفات)

هذا الشاهد مردود الشهادة لما في اقوالك التي أتيت بها فيه من التضارب والتناقض لانك ادعيت أن المسيح لكونه وحده لم يكن خاطئاً جاء لان يكون فداءً للخاطئين واما كل البشر فخاطئون وما صلب الا ليحمل الخطيئة عن العالمين ثم زعمت ان محمداً ولد بالخطيئة وكان كسائر الناس خاطئاً واستدللت على انه خاطئ بآيات قرآنية وسيأتيك الكلام عليها بأوضح بيان اما كونه ولد بالخطيئة فلم نعقل له معنى ولم ندر ماهي الخطيئة التي ولد بها أنادي عليه مناد من الناس

انه ولد من سفاح كما نادت اليهود على عيسى عليه السلام أم زنى وهو في بطن أمه أم سرق أم ما هي الخطيئة التي ولد بها فان كنت تريد بالخطيئة مازعمتموه من مخالفة آدم وحوآء التي تدعون أنها ما غفرت الا بصلب عيسى وأنه ما صلب الا لتخليص البشر منها فقد صار محمد صلى الله عليه وسلم غير مولود بها لانه ولد بعد عيسى بمآة من السنين فيكون على الأقل كسائر الناس الذين خلصهم عيسى من الخطيئة أم جاءكم نبأ صحيح أن المسيح خلص جميع الناس وترك محمداً وحده موحولا فيها أم تدعي أنه ما خلص الا الأمم التي سبقته كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وغيرهم ممن أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ولم نعلم لهم في الخلاص من تلك الخطيئة نصيباً أم تريد أنه لا يخلص من الناس الا من تبعه اذا نقول لك أن هذا هو عمل كل رسول أرسله الله تعالى اذ الرسل لا تأتي الا بأوامر الله فمن تبعها نجا ومن لم يتبعها كان من الهالكين فلا فرق بينه وبين باقي الرسل وما كان صلبه الا عبثاً

يا هذا ان تضارب هذه الاحتمالات أوقعتنا في حيره عظمى وإنا لنراك بسببها في ضلال بعيد لانك لو صممت كل التصميم على أن الصلب كان لتخليص البشر وليكون المسيح فداءً عن العالمين اذاً نقول إنه لا شقيٌّ على وجه الارض لا من اليهود ولا من النصارى وهذه دعوى مخالفة لأساسات القواعد الدينية من التوراة والانجيل والفرقان العظيم اذ جميع الكتب تنادي ان المطيع البار سعيدٌ محبوبٌ وأن العاصي شقيٌّ مبغوضٌ واقعٌ في العذاب المقيم وان كان من أبناء الرسل وان قلت ان الفداء كان للبعض دون البعض نقول كما قال لكم بعض العقلاء ان القاعدة المعلومة شرعاً وعرفاً أن الفداء لا بد أن يكون أقل قيمة من المفدي ولا ينبغي أن يكون ابن الله على زعمكم فداءً عن

قوم خاطئين وان كان ولا بد من الفداء فهل من إله فوق ذلك الاله الذي قدّم ابنه فداء خاف هذا الاله بطشه فجعل ابنه عرضة ينقي بها بأسه لكيلا يبطش بعبيده ان هذا لقول باطل وخرافٌ لا يعقل اذ لا يتصور أن الله الذي له ملك السموات والارض وحده لا شريك له يتخذ ولدا واحدا ثم يهينه هذه الإهانة بلا سبب ألم يكن قادرا على المغفرة بلا صلب ولا عذاب تالله لئن كان المسيح هو ابن الله وكان هو المصلوب حقيقة وهو الذي صرخ مناديا ألوه ألوه لماذا تركتني لانشقت الارض بمن عليها خسفاً وأمطرت السماء الصواعق على من صلبوه وفعل الله بأهل الارض جميعهم ما فعل بقوم نوح ومن بعدهم وان أدعيت أن محبة الله في خلقه هي التي دعته الى هذا العمل لقال لك القائل لماذا بغض الله الامم السابقة حتى أوقع بهم ما أصابهم وما هو السبب في محبته للأمم اللاحقة حتى جعل ابنه فداء لهم ولما ذا بغض اليهود من بعد الصلب وان كان ولا بد من صدقكم فقد كان محمد من جملة الذين افتدوا به فلا حق لكم في القول بأنه مولود بالخطيئة وما بقي علينا الآن الا أن نقول إن الناقلين والسامعين لهذه الخرافات على جانب عظيم من الجهل لا يفيدهم النصح شيئاً فحالهم كحال أمة النبي الذي قال لقومه (وياقوم لا ينفعكم نصحي ان أردت أن انصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم)

يا هذا لماذا ادعيت أن الناس جميعهم أنبيائهم ورسلهم وخواصهم وُلدُوا بالخطيئة الا عيسى أليس عيسى هو ابن مريم ومريم من بني آدم وقد ذكر في الانجيل أنه يعطى كرسي أبيه داوود وقد قلتم أن داوود كان خاطئاً فلا بد أن الجنسية تلحقه بآبائه في خطيئتهم كما ألحقته بهم في اشتهاء الطعام والشراب والبراز والنوم وغير ذلك من العوائد البشرية التي أبطلت عليكم دعوى الالوهية

وان قلتم أن عيسى تخلص من الخطيئة بحال من الاحوال نقول ان محمدا تخلص منها بحال أشرف منه وذلك لأن عيسى أوتي النبوة صبيّا ومحمد صلى الله عليه وسلم قال في نبئه الصادق كنت نبيا وآدم منجدل في طينته وأثبت الله سبحانه وتعالى صدقه بقوله في كتابه العزيز (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذالكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فكان من نصرتهم له أن كل رسول منهم كان يبشر قومه به كما جاء في التوراة والانجيل وان انكرتموه فقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) فهل يتصور عاقل ان الله كاذب في انبائه وان قلتم ان القرآن من عند غير الله فهل من الفطنة والزكاء أن يتصور متصور أن رجلا يكون بين أظهر قوم معروفا عندهم بالامانة والصدق وينادي فيهم بأمر كاذب يقدرون فيه على تكذيبه من أول وهله اذ كان لأحدهم أن يأتيه بالتوراة والانجيل ويقول له أين أنت وأين ذكرك في صحف هذه الكتب فلو لم يكن مذكورا فيهما لما ادعى هذه الدعوى وان هذه الدعوى الصادقة لهي التى أثبتت لأمة محمد وقوع التغيير والتبديل في الكتابين ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول

إن الاولى لكل عاقل أن يتحفظ من الوقوع في أعراض النبيين بأن يعتقد ان الله سبحانه وتعالى قادرٌ على ان يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وله أن يصطفي من خلقه من يشاء لما يشاء لا حجر عليه في الكون والتكوين فكما أنه لكمال قدرته جاء بعيسى من مريم طاهرًا نقيا كذلك له أن يأتي بمحمد من عبد الله وآمنة طاهرًا نقيا كما جاء بباقي الرسل أصفياء انقياء

وهداهم الى الصراط المستقيم (ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) اذاً فيكون الحكم على سائر المخلوقات بالتساوى في الخطيـة إجحافاً بحقوق الرسل وتهوراً في الطعن وعبثاً في القول وتكذيباً لرب العالمين في شهادته لرسله بالصفاء والاصطفاء وما هذا كله الا من عمل الشيطان وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

يا هذا ان استدلالك على ان محمد صلى الله عليه وسلم كان كسائر الناس خاطئاً بالآيات القرآنية التي ذكرتها ما هو الا خاطر شيطاني قام من قلبك ينادي بلسانك عليك بالجهل وسوء الأدب وفساد الضمير اذ لو كنت صالحاً لأن تفهم عن الله شيئاً لما تصورت أنّ الذنب الذي ذكره الله تعالى في آيات الإمتنان على نبيه هو بمعنى الخطية اذ الخطية ما هي الا الوقوع في المخالفة واتيان ما نهى الله عنه وليس هذا هو معنى الذنب المذكور في الآية فما تقاييت الا منا تعاطيت ولا تنفست الا نتن جوفك السقيم ولا أنفقت الا ما أحرزت فصدق عليك قول القائل

يقيسون حالي في الغرام بحالهم وكل اناء بالذي فيه ينضح

يا هذا ما كان ذلك منك الا لغلظ الطابع الذي على قلبك واستيلاء شيطان الغرور والافتتان على فكرك وتسلط سلطان السفه والحماقة على نفسك الأمارة فان قاصد السوء لا تنطوي طواياه الا على الظن السيئ حيث لا يتحاشي غوائل عقباه أتظن يا هذا ان الله سبحانه وتعالى عدد نعمه على عبده وجاء يمتن بها عليه في آياته توبيخاً أو تقريعاً ان هذا لهو الجهل المهلك أما لك من الذوق ما تدرك به مزايا الخطاب أتظن ان الوزر الذى أنقض ظهر محمد صلى الله عليه وسلم خطية فعلها واستحي الله من ذكرها ثم رفعها عنه

(كلاّ) انك لفي ضلال بعيد انما الوزر هو ثقل أعباء الرسالة الذى لولا اعانة الله له عليه لكلّ عن حمله اذ كل نبي يأمر بأرشاد قوم الايمان يكون كأنه حمل السموات والارض على عاتقه حياء من الله وخوفاً ولولا عناية الله برسله لما تبعهم أحدٌ ألا ترى عيسى عليه السلام كيف تحمل المشاق في ارشاد أمته وما تبعه منهم الا بعض من صيادين السمك وغيرهم من الضعاف وقد آل أمره الى الصلب بعد ما جاء بما جاء به من المعجزات الباهرة فذلك هو الوزر الذى وضعه الله عن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما شرح صدره بالفتح والنصر المبين ثم رفع ذكره في زمنه رفعة لم ينلها أحد من الانبياء في أزمانهم ولقد بشره بالفتح بقوله (إذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمدِ ربكَ واستغفرهُ إنه كان توّاباً) فظننت لجهلك أنه أمره بالاستغفار لخطيئة فعلها وما كان ذلك الاستغفار الا مما اختلج في صدره من ضيق اليأس عند اشتداد الكروب ومعاناة الشدائد من المعاندين الذين سبقوكم بالكفر تعصباً وإصرارا ولما كان وعد الله حق والشك في وقوعه ذنب يأتيه المكروب اضطرارا أمره الله بالاستغفار منه ألا وهو الذنب الذي ذكره في قوله (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) إذ ليس للأنبياء ذنوب الا اليأس من نصر الله عند تعصب الأمم عليهم وشدة إصرارهم على الكفر وتعرضهم لإساءة انبيائهم كما حكى ذلك القرآن بقوله (حتي اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) ومثل هـذا الذنب لا يستحق المتلبس به غير العتاب تعريضاً عند ذكر الامتنان بصدق الوعد كما تعاتب الملوك أخصائهم الذين ظنوا أنهم هجروهم عند التعطف ولطف الحنان بدليل قوله تعالى لنبيه (ألم نشرح لك صدرك) الى آخر السورة

وبدليل ما جاء في سورة الفتح فتوهم الاغبياء منكم أنه خطاب تقريع وتوبيخ ثم اختلقتم ذنوبا ما ذكرتموها ولا عينتم أنواعها وما ذلك الا لتلوث قلوبكم بقذارة التعصب وسوء الادب وغلظة الطبع وما أنت بمالك لنفسك ضرا ولا نفعا حتى كنت تخير لك عقلا بين العقلاء وذوقا كأذواق الفضلاء تدرك به رقائق الحكم ودقائق الخطاب الالهي الذي لايمسه الا المطهرون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ولقد فهمت من سورة الضحى مالا يتصوره إلا كل غبي فاقد الذوق والتصور اذ فهمت ان قوله تعالى (ووجدك ضالاً) بمعنى مخطئ مع المخطئين الضالين ولو انك ذا ذوق سليم وتلوت السورة الشريفة تلاوة أولي الألباب الذين يتدبرون القرآن ويرزقون الفهم عن الله تعالى في كلامه لأدركت من موضوعها وما تشير اليه أنها صدرت عن عناية ربانية وأنه خطاب اكرام وامتنان يتضمن سرًا مصونا بين الله ورسوله لا تصل اليه أفهام السفهاء لاننا لو حملناه على ظاهره لما وجدنا فيه للامتنان محلاً اذ كل الأيتام الذين وجدوا أيتاما ما آواهم الا الله وهو الذى يغني كل فقير عائل ويهدى كل ضال متى أراد هدايته سيما وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم سأل ربه بقوله اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا وأحشرني في زمرة المساكين وقد فارق الدنيا فقيرا فحينئذٍ لا معنى للامتنان الا اذا حوى الخطاب سرًا معلوما للمخاطب ولا ضرر علينا ان التمسنا له معنى يوافق موضوعه فقد يقال لواحدة الدرر التي لم تثقب ولا نظير لها درة يتيمة فاليتم هنا بمعنى الانفراد بالوصف في زمان ومكان لم يكن له فيهما نظير ولا شبيه يأتنس به في غربة وصفه الفريد الذى لم يشاركه فيه أحد من العبيد فآواه

اليه وآنس وحدته بأن صلى الله عليه وسلم هو وملائكته ولا معنى للصلاة الا الاقبال والولاء والكفالة ووجدك ضالاً يريد حائرا في الظلمات الكونية اذ كان استعدادك وقابليتك لا يلتئمان مع الاوطار البشرية والاخلاق العادية فكنت لا تعلم الطريق التي فطرناك عليها ولا شك أن الارواح في سجن الاشباح حائرة لا تهتدى الا الى الطريق التي يلهمها الله التوجه اليها بدليل قوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فالضلال هنا بمعنى الحيرة لا بمعنى الوقوع في الخطايا فآواه الله تعالى الى حظيرة قدسه وهداه الى معالم قربه وأنسه ووجده عائلا ذا اهتمام بشؤون أمته فأغناه بإنزال السكينة عليهم واثابتهم فتحاً قريباً بدليل قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم لا يشاك أحدكم بشوكة فما فوقها الا وجدت ألمها وليس الفنا عند أولي الالباب الا العزة التي أشار اليها الله بقوله (قل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين)

هذا هو المعنى الذي تعقله أرباب البصائر من هذه السورة الشريفة التي أقسم الله فيها لنبيه أنه ما ودعه ولا قلاه وأنه سوف يعطيه فيرضى ثم انا لو سلمنا أنها على ظاهرها وان كل آية جاءت في هذا المعنى يكون مراد الله منها أنه أخطأ وغفر له فهل يجوز لعاقل له نصيب من الأدب أن يقول انه كان من الخاطئين مع ما يتضمنه الخطاب الالهي من العطف والحنان وارضاء المخاطب والاعلان بعلو مقامه ورفعة منزلته أليس في ذلك من الوقاحة وسوء الأدب والغلظة ما لا يقدم عليه الا كل غبي زنيم فمن هذا يعلم كل عاقل ويتحقق كل ذي ذوق سليم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما ارتكب جريمة قط ولا أتي بما يأتي به الخاطئون ولو ارتكب ذنباً لما استحي الله من ذكره اذ العدل وحسن القول يقتضيان

ذكر الذنب قبل المغفرة ليعلم المخاطب الذنب الذي اقترفه فيتركه

يا هذا إنا ان صدقنا القول وشهدنا أن محمدا رسول الله إذاً نقول ان الله سبحانه وتعالى يجلّ عن أن يصطفي رسولا يرسله لعباده لينهاهم عن ارتكاب الكبائر ويأمرهم باجتناب الصغائر ويحثهم على استعمال الاخلاق الكريمة ثم يحرمه مزايا العصمة والحفظ وان قلنا كما تزعمون أن محمداً ليس برسول فأي داعٍ دعاه لأن يفتري قرآنا يجعل نفسه فيه مذنباً وما علم قومه عليه من سوء قويل ثم ويل لمن لا يقع الا في أعراض الاصفياء زوراً وبهتاناً إنه والله لمن أصحاب السعير

يا هذا انكم لتزعمون أن داوود وهو جدّ عيسى عليه السلام زانياً وليس بزانٍ ولكنها مجرد هفوة فعلها بغير إذن إلهي فعاتبه الله عليها بارسال الملكين ليختصما أمامه فعلم أنه أخطأ وجاء بخلاف الاولى إذ لم يكن لمن استخلفه الله في ملكه أن يعمل عملا من تلقاء نفسه مع نهي الله له عن متابعة هواه فلما علم الذنب واستقال غفر الله له فلو أن محمداً أخطأ خطيئة لذكرها الله تعالى وعاتبه عليها اذاً فنسبة الخطأ اليه مع جهل الذنب ما هو الا محض افتراء وبهتان عظيم وجرئة جريم لئيم لازاجر له ولا رادع

ثم إنا نقول في مقام الجدل أنه لو كان التفضيل بين الرسل يأتي من قبيل عدم ارتكاب الخطايا لكان نوح مثلاً اكرم الرسل وأفضلهم وكان فضله فوق عيسى بكثير فقد عمر عمراً طويلا وكان ذا بسطة في الجسم صحيح القوى سليم الجوارح وما سمعت أذنٌ بأنه أخطأ إذاً فيكون أفضل من المسيح الذي كان قصير العمر وطويل الرياضة لأنه يجوز لقائل أن يقول لولا الرياضة لما قهر نفسه ثم من وجه آخر نقول أن عيسى عليه السلام ما جاء في عصمته باكثر

من ما أتي به أهل المجاهدات فان في كل أمة من الأمم من جاهدوا نفوسهم باكثر من ما جاهد به المسيح نفسه سيما الكثير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان الغالب منهم يصوم الاربعين طاويا قائما الليل صائما النهار كما قال ابن القارض رضي الله تعالى عنه وليس بكاذب

في هواكم رمضان عمره ينقضي مابين إحياء وطي

وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يطوى الاربعين حتى اذا أفطر واشتهت نفسه شيئا علم أنها ما زالت في درجة الطفولية فيربيها بأربعين أخر لانهم كانوا يعدّون الدخول في طريق المجاهدات ولادة ثانية وهي التي ارتاب في معناها بعض المسيحيين وسئل عنها بعض العلماء المحمديين فما أقنعوه كما يزعم وجاء يتكلم عليها بكلام الغريب الأجنبي الذي قام يصف دارا مادخلها ولكنه سمع ببعض ما فيها وسنتكلم عليها بما يشفي الغليل ويداوي العليل بعد أجل قريب ثم ان لأكابر الصوفية في تربية النفوس ومجاهداتها لأعمال مسطرة في كتبهم لا يتيقن صدق أنبائها الا من له في طريقهم قدم لغرابة وقوعها الا ممن جاءهم من ربهم مدد العناية وارشاد التوفيق والهداية وقد كانوا بتلك المجاهدات على أوصاف كأوصاف عيسى عليه السلام في عدم الميل الى الشهوات وفي طهارة النفوس من كل نقص حتى من الخواطر النفسانية ولقد كان البعض منهم يعطي نفسه من المباح ما تشتهي ثم يقول ان الذي يحكم نفسه وهي قوية اكبر همة ممن يضعفها بالرياضات ثم يدعي أنه حكمها حتى كان سفيان الثوري رحمه الله يمتلأ طعاما ثم يقوم الليل كله ويقول أطعم الزنجي وكدّه وما أردنا بإيراد هذه الجمل التسوية بين الاولياء وبين الرسل في الوصف والرتبة اذ كل

من الطائفتين له مقام معلوم ولكننا نريد ان تعلم ان كثيرًا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان فى طهارة النفس ونزاهتها والزهد في الدنيا على قدم عيسى عليه السلام ولهذا قال محمد صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل يريد فى طهارة النفوس والتلقي عن الله أسرارًا وأنوارًا ثم هناك نكتة أخرى متى تأملتها تعلم علم اليقين أن هذا الشاهد لا ينبغي أن يركن اليه في موازين التفضيل ألا وهي أننا نرى أن كثيرًا من الناس بل ومن الحيوانات الوحشية ما هو مفطور علي أخلاق كريمة لا تدعوه الى فعل ما يشينه ككثير من العوام البسطاء وكالوحوش التي لا قوة لها على الفتك بغيرها ولكنا لو وزنا حاله بحال من يميل الى الشهوات والافتراس وهو قادر على ذلك ولكنه يكف نفسه عنها كرمًا لما وجدنا بين الاثنين أدنى نسبة في الشرف كالاسد مثلا صاحب البأس والقوة فقد يترك افتراس قوم تقدمتهم امرأة اكرامًا لها مع قدرته علي البطش بهم وكالرجل الصالح الذي تدعوه قوة قواه الحسية وأركانه البدنية الى اشتهاء ما يُشتهي ولكنه لا ينقاد الى شهوته لكرم أخلاقه فأي نسبة بين هذا وبين الذي كان من فطرته عدم الميل للشهوات الذي لا فضل له في ترك الشهوة كالفقير الذي لا يملك شيئًا ثم يدعي الزهد فما زهد الا في مالا يملك فلا صحة لزهده وأما الزاهد الحق فهو الذي زهد ما ملك

ثم اني مع شدة التحفظ من الوقوع في ورطة الخطأ في جانب هذا النبي وشدة احترامي لجنابه المقدس الأطهر لاعتقادى وايماني بأنه من أفاضل الرسل الكرام أقول في مقام الجدل أنه لا يثبت تفضيله على الرسل بما كان عليه من الشؤون التي ذكرتموها لاننا لو قلنا انه من جنس الملك لكذبتنا أحواله البشرية من أكل وشرب ونوم وبروز فضلات كباقي الحيوانات البشرية وغيرها وبذلك

تكون ملكيته ناقصة الاحوال والاوصاف

ولو قلنا انه بشر فما وفّى حقوق بشريته اذ من حقوق البشرية التناكح والتناسل ولم يخلق الله البشر الا حيواناً للتناسل وما وقع منه شيء من ذلك فكان ولا بد ناقص البشرية وان قلنا انه لا ملك ولا بشر ولكنه اله أو ابن اله يقول القائل ان أوصاف الاله وشؤون الالوهيـة لا ينطبق شيء منها على حال من أحواله اذ لا نسبة بين القديم والحادث ولا رابطة بين الذي تربى في حجر أمه و بين مُربي الخلائق بقوميته وسموّ عظمته ولو صحت الالوهية للاطفال الذين تكوّنوا في ظلمات الارحام لصحت للشمس المؤثرة في غيرها من العوالم السفلية ولما تميز الاله عن المألوه بوصف من الاوصاف

اذا فلا وجهة لكم فيما تدعونه لانكم ما وجدتم باباً تسلكونه ولا ركناً تركنون اليه فلا يسعنا بعد هذه الاستدلالات العقلية و بعد ما تبين من الحق الا تحكيم القرآن كما اتفقنا من قبل إما لانه كلام الله كما أجمعت الامم السالفة على ذلك وإما لانه كلام رجل عاقل كما يزعم السفهاء منكم ومنمن أداهم الطيش الى جحود المعلومات الشرعية والأنباء الالهية فان قلنا انه كلام الله فقد ارتفع الاشكال وتحقق الحال واتفق الكل على انه بشر شريف ورسول كريم وهذه هي أكمل أوصاف البشر وان قلنا أنه كلام رجل عاقل كما تدعون فقد ألزمتم أنفسكم متابعته اذ من المعلوم الضروري ان الناس لا يرجعون في حل معضلاتهم الا الى عقلائهم وما وجدنا من العقلاء من عهد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بل ومن مبدإ الدنيا من يضاهيه في جميع شؤونه العلمية والعملية ولا في كرم أخلاقه ولقد قال كما أمره ربه (ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) فلو أن هذا العاقل علم أن المسيح ابن الله كما زعمتم لعبده كما عبدتموه فلماذا لم تتبعوا

هذا العاقل كما تدعي الناس عقلائهم وتقولون أنه بشر من أشرف البشر

ومتى كان بشرا فيكون تفضيله على غيره بالاوصاف الذى شاركه فيها كثير من الانبياء والاولياء لا معنى له لان الله سبحانه وتعالى لما سلط الشيطان على بني آدم قال له (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وما خص عيسى بالذكر بل عمم جميع من اصطفاهم من عموم الانبياء والاولياء ولو تسلط الشيطان على الكل لوقع التساوى بين الخيـار والاشرار وهو ممنوع لمفهوم قوله تعالى (لا يستوى الاعمى والبصير)

ولمّا كان لله سبحانه وتعالى حقٌّ في ارسال الرسل بالأوامر والنواهي لأنه من العبث ان يبعث باعث جاهلا لقوم جهلاء يعلمهم ويؤدي حقوق تربيتهم مع مشاركته لهم في أوصاف الجهالة ولا ينبغي أن الله تبارك وتعالى يرسل خاطئًا ليطهر خاطئين اذًا لا نبني على ذلك أن جميع الأعمال الإلهية يجوز أن يخالطها العبث ومتى جاز ذلك كان لقائل ولو من اليهود أن يقول ما كان لله أن يأتينا بولد لم نعلم له أبًا ثم يرسله الينا صبيًا ويلزمنا بالتصديق به بعد ما يظهر على يديه من خوارق العادات ما جزمنا بانه سحر مبين فهلا ولده في السماء وأرسله في ملاء من الملائكة حتى لا يوقعنا في أوحال التكذيب ما دام بنا رؤوفًا رحيما ولماذا أرسل موسى من قبل وداوود إن كانوا من الخاطئين ولم ينزل ابنه من عهد ما خلق النوع الانساني ان كان ذا عناية بهداية خلقه أو لماذا لم يُبقه بينهم حتى يكون الناس كلهم على أخلاق طاهرة ثم اذا كان الناس كلهم خاطئين حتى الانبياء فما ثمرة وجود ابنـه بينهم مع بقائهم على ما كانوا عليه اذًا فماذا يكون الجواب عن هذه الاحتمالات التي ما أوقعكم في أوحالها وصيركم في أسر المسئولية عنها الا التغالي الذى نهى الله عنه

بقوله (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا هو خير لكم) وما كان على الله من حرج إذا كان المسيح ابنه أن يقول إنه إبني و ينادي به في القرآن وما كان على محمد من حرج إن كان القرآن من عنده كما تدعون أن يقول بان الله وابنه ارسلاني رسولاً اليكم وكان ذلك اقرب للتصديق إذاً فما علينا الا أن نخجل من العود الى هذه الدعوى الباطلة ونركن الى الحق ونبطل شهادة هذا الشاهد الثاني لنسمع شهادة الذي بعده ونترك أهوائنا ان كان غرضنا هو الوقوف على الحقائق والله يقول الحق و يهدي السبيل

وأما قولك ان جميع الانبياء الذين ذكروا في القرآن استغفروا لذنوبهم إلا عيسى عليه السلام فانه قول مستهجن إما ان يكون صادراً عن جهل واما أن يكون مقصوداً لتقوية قوائم المكابرة والإصرار لأنا كثيراً ما نطالع في الأناجيل بكاء عيسى عليه السلام وتضرعه إلى ربه كما هي شعار المقربين لأن أرباب المكانة القربية والمقامات القدسية والانوار اللاهوتية يعلمون أن الانسان مهما وصلت درجته في إتقان أعمال البرّ واستدامة الشهود واستعمال الأدب مع ربه لا يمكنه القيام بواجب الشكر لله تعالى ولا يستطيع أن يحصي ثناء عليه ولا أن يقدّره قدره ولا أن يقوم بادا حقوقه لتحققهم أن الله سبحانه وتعالى له في كل لحظة على كل انسان من النعم ما لا يحصى عدًّا وأنه لا حجر عليه إن أخذ أقرب قريب بأدنى فتور في مقام الشهود وعفي عن اكبر جريمة لأفسق جريم فلذلك يروا انفسهم على الدوام في دوجة التقصير وما لهم من حيلة إلا دوام الاستغفار والخوف من الله لا لأنه ظالم ولكن لأن درجة القرب ومكانة الوصلة

أعظم منحة ينبغي لمن نالها ان يحافظ على بقائها إذ هي اكمل حال يحرص على البقاء عليه أولوا الالباب وكل قريب موصول لا يأمن طوارق البعد المجهول فلو انك ذا شعور بعظمة الألوهية لما انكرت استغفار عيسى لربه حتى وان كان اكبر اولاده أو ليس الاب القادر على صلب ابنه بقادر على ان يفعل معه ما يفعله بأحقر عبيده اذاً فهو الاحق بالخوف من سطوات أبيه القادر ولو أنه كان مطلوق الصراح لما أجهد نفسه في العبادات وفي انواع القربات وقد ارشدناك الطريق القويم فلا تكن مع الجاهلين

الشاهد الثالث مبحث المعجزات

يا هذا اني سائلك قبل ان اتكلم عليه سؤالا حسناً فأجبني عنه جواباً سديداً أيها النبيه أما وصلك نبأ سليمان عليه السلام مع أميرة سبأ اذ قال لمن حضره أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ولقد جيء بالعرش بتلك القوة الاخيرة وماقدر سليمان الذي آتاه الله الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده على الإتيان به فأيهما الافضل سليمان ام صاحباه

يا هذا ان موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة من حبال السحرة فلما ألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون وكثيراً ما رأى موسى منها من خوارق العادات ما لم يقدر على الاتيان به موسى فهل كانت العصا أفضل منه (لا) والله ولكن الله يفعل ما يشاء عند أي مخلوق وإن قلت أن هذه الأعمال أعمال القدرة الالهية على أيدي العاملين لها وأما عمل عيسى فمن نفسه لانه إله وابن إله اذهو

كلمة الله والكلمة عين المتكلم نقول إن القرآن الذي ارتضيته حكماً صرح بأن كل أعمال عيسى كانت بإذن الله لا بإذنه ولقد برهنا لك بجملة براهين فيما تقدم أنه ليس بإله ولا ابن إله بل هو رسول كريم ولقد قال في الإنجيل لبني اسرائيل إن الذي يتبعني منكم ويعمل بعملي يفعل كأفعالي التي ترونها وكثيراً ما أتى الحواريون بعده بخوارق عادات كما كان يفعل وما ذلك إلا مصداقاً لما ورد في الكتب السماوية ما نصه عبدي أطعني تكن ربانياً تقول للشيء كن فيكون إذاً فليس عيسى وحده الذي جاء بخوارق العادات بل ان كثيراً من الرسل أيدهم الله بمعجزات كما أيد عيسى ولقد احيي الله الميت ببعض من جلد بقرة قوم موسى وان الاكابر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين أعطاهم الله قوة التكوين التي سينالها اهل الجنة في الجنة كانت تأبى نفوسهم الإتيان بخوارق العادات لانهم كانوا يعدّون ذلك العمل من رعونات النفوس ومنهم من جاء بمثل ما جاء به عيسى وتواترت الانباء الصادقة عنه بذلك وان تكذبوها نكذبكم وان استدللتم بالقرآن نلزمكم بالإيمان به فما جوابك اذاً على هذا السؤال فبهت ذلك الرجل وقال لقد أجملت وفصلت في خطابك بما سد في وجوهنا كل طريق للإجابة ولكن هذا لا يمنع أفضليته على محمد لأننا ذكرنا أنه لم يأت بمعجزة وقلنا أيضاً ان الذي نسبتموه له من المعجزات لم يجد نفعاً ولا أفاد النوع الإنساني بفائدة فان المسيح كان يشفي المرضى ويبرأ الأكمه والأبرص فما جوابك على ذلك

فقال الرجل المسلم إذاً لا يكون التفضيل بين محمد وعيسى بل الاولى أن يكون التفضيل بين عيسى وبين مشاهير الاطباء الذين أحسنوا معالجة المرضى في كل زمن لما نعلمه نحن وجميع العقلاء أن الانبياء ماجاؤا لأن يكونوا أطباء

للاجسام ولكنهم جاؤا لمداواة القلوب وتخليص الارواح وتطهير الاسرار إذاً فلا وجه لتفضيل أحدهما على الآخر بهذا العمل لان هذا عمل يجريه الله على يد بعضهم عند الحاجة رأفة بعباده المرضى لا لتفضيل العامل له على أقرانه ولقد علمنا أن المعجزات لم تصدر على أيدي الرسل لقصد المنفعة الدنيوية لهم أو لأممهم ولكن لان تكون حجة لله على من يكذب رسله وتعرفاً لمن أرشدهم الى طريق الهدى فكان لكل نبي معجزات غير معجزات الآخر اذ لو اتفقت المعجزات في الشكل والجنسية لما سميت المعجزة التالية لما قبلها خارقة للعادة بل تكون المماثلة بين المعجزات موجبة للشك المريب ويجوز لمن رآهـا أن يقول للآتي بهـا انك تعلمتها ممن قبلك فلذلك اختلفت أنواع المعجزات وما كان لرسول أن يأتي بمعجزة تشابه معجزة الآخر بقصد الإعجاز فلذلك لم يجب الله طلب كفار قريش في طلب الآيات لان مرادهم آيات كآيات المرسلين الذين تقدموه ثم إنا في سبيل المحاورة نقول أن المعجزات لم تطلب الا لإثبات الصدق في البعث والرسالة وقد صدق القوم محمداً وآمنوا به وان لم يأت بمعجزة وظهر دينه على جميع الاديان بنصر الله تعالى وتأييده ونصر الذين آمنوا به له وقد هدى الله من أراد هدايتهم بأن شرح صدورهم للإيمان به واما من لم يرد الله هدايته فلا يهتدي وان جائه الف رسول بألف آية هكذا هو مقتضى نصوص الكتب السماوية ولنا كلام على معجزات محمد صلى الله عليه وسلم فيما سيأتي إذ المقصود الآن ما هو الا بطلان شهادة هذا الشاهد الذي لم يؤدِّ الشهادة على وجهها اذاً فلا يكون الترجيح به مستقيماً في الوزن فلنتركه ونتبصر في شهادة الشاهد الرابع والله يلهمنا الحكمة والصواب

وأما دعواكم أن الانبياء كانوا يأتون بالمعجزات باسم الله وأما المسيح فكان

يأتي بها باسم ذاته فما أقمتم على ذلك برهانا فلا حاجة للكلام على هذه الدعوى لأنها هي دعوى الألوهية بذاتها وقد أبطلناها لكم فيما سبق فان كنتم مصرين على أنه إله فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين إذ الله سبحانه وتعالى وهو الإله الحق القادر الحكيم مع قوة سلطانه وشدة بأسه لم يتعرف لخلقه إلا بصنعته حتى نادي في كتابه العزيز بقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وما اكتفى حتى أثبت ألوهيته بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة ثم قال (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) فان قلتم ان عيسى هو هو ذلك الاله نقول أنه لو قال في كتب من كتبه إني أنا الله عيسى ابن مريم لكفر به من في السموات والارض لكنه لم يقل ذلك وما آمن الناس بألوهيته الا لمخالفته للحوادث وان قلتم أن عيسى جزء منه وسلمنا لكم أنه يجوز أن يتجزأ لكان كل آت بمعجزة أو شيء من خوارق العادات جزءاً منه وعلى كل حال فإثبات ألوهية المسيح محال اذاً فيكون الآتي بالمعجزات على أيدي الرسل هو الله سبحانه وتعالى وما جاء بها عيسى الا باذن الله كما ورد في القرآن الحكيم ولقد أوقفتموه في المسئولية التي حكاها الله عنه بقوله له يوم القيامة (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) وأجاب الله عنه بقوله (قال ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي) يريد لأني مخلوق لك (ولا أعلم ما في نفسك) لانك أنت الخالق (إنك أنت علام الغيوب) فما كان حالكم معه الا كحال الخلائق الذي دونت حكايته في كتاب أبي شادوف اذ أوقع صاحبه في ما يكره لدعوى المحبة له وانكم الآن معه لكالمطلقة الشوها للاديب العاقل يفر منها

لسفاهتها وتتبعه ثم انه للقائل أن يقول إن كان عيسى كان الهاً يعمل العمل بذاته واسمه فأين كانت ذاته عند الصلب الذي ادعيتموه حينما كان ينادي صارخاً ألوه ألوه أي يا أبت لماذا تركتني كما تزعمون فعلي هـذا تكون دعوى الالوهية باطلة وما معجزاته الا كمعجزات الرسل وانه لجسد كالاجساد الشريفة وروح كالارواح المقدسة وكلمة من كلمات الله سبحانه وتعالى التي لا تتناهي المشار اليها بقوله (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) وما قال الله في القرآن انه كلمة الله الا لنفي دعوى البنوّة والالوهية في قوله (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) ثم قال بعد ذلك (فآمنوا بالله ورسوله) ولم يقل وولده ونهى عن دعوى التثليث بقوله (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا هو خير لكم) فجاء أهل السماجة منكم يثبتون المنفي بأدلة النفي وما ذلك الا من باب المغالطة والمكابرة أو الجهل بمواقع الخطاب ثم انا ان وافقناكم على دعوى الالوهية أو البنوّة فلا معنى للتفضيل بينهما لأنه قد ثبت أن محمداً عبد من عبيد الله ولا معنى للتفضل بين العبد وسيده اذاً فما منعكم من الايمان برسالة محمد كما آمنتم برسالة الرسل المتقدمين وقد جاء بالهدى ودين الحق وتمم مكارم الاخلاق وقال أنا عبدالله فهلا كنتم من باب الادب وتوقي أخطار المخالفة وعواقب الجحود تعتقدون أن الله وابنه أرسلاه ليرشد عبيدهما الى طريق الهدى سيما وقد قال لاسلافكم (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله) فان كان عيسى هو الله كما تزعمون فما جاء محمد الا بالدعوة لعبادته فما كان لكم ان تكفروا به وبما جاء به وما جاء الا بكتاب مبين وشريعة غرّا شهد بصحتها واعتمادها كل فذ من كل ملة إذاً فما أنتم الا موقظوا الفتن الذين لعنوا بقوله

صلى الله عليه وسلم ألفتنة نائمة لعن الله من أيقظها فالأولى لكم أن تدورُوا مع الحق حيث دار وتذروا ما أنتم عليه من التعصب والله على كل شيء قدير

الشاهد الرابع مبحث الموت

يا هذا ان كان التفضيل بينهما هو بما كانا عليه عند الموت من الشؤون فقد مات أحدهما مصلوباً مقهوراً وجاءه الموت وهو يصيح كما زعمتم مثل ما يصيح الصبي عند وقوع الأذى أو الجريم عند العقوبة والآخر مات على فراشه وهو يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فأيهما الأكمل حالا والأشرف مقالا وأعمالا وان كان التفضيل برفعه الى السماء فقد رفع الله ادريس من قبله وكم في السموات من مخلوقات ولم يكن الله متحيزاً الى جهة حتى أنه رفعه اليه بمعنى أنه أجلسه عنده كما تزعمون بل معنى رفعه اليه أنه آواه وجعله في مكان لا يتأذى فيه برؤية القوم الظالمين فظن أغبيائكم الذين لا يدرون ما هي الالوهية ومن هو الإله ولا يعرفون له صفة تميزه عن المألوهين أنه الآن جالس مع أبيه في المكان المعدّ لإقامة الإله وما استقروا على اعتقاد واحد بل تارة يقولون أنه عند أبيه وتارة يقولون أنه هو هو فلذلك لم يقم لهم بين الامم ميزان ولم تثبت أقدامهم على منهج واحد في الاعتقاد بل صار عندهم الدين اسما بلا مسمى ثم اتخذوه عرضة لفساد باقي الأديان والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون وان كان التفضل يا هذا بسبب الإحياء بعد الموت فقد شهد القرآن لشهداء الجهاد بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فالذي له الاقتدار التام على جعلهم أحياء بعد ما قتلوا هو الذي أحيى عيسى بعد موته ورفعه الى السماء التي لم تدرأ هي بمعنى الفوق كما زعم فلاسفة أمتكم أنه لا سماء ولكنها

مجرد فوقيـــة أو في السماء الاولى أو أي سماء اذ لا برهان لكم على أى سماء تدّعون انه فيها وان ادّعيتم أنه على يمين الرحمن نقول أن كل الانقياء على يمين الله والاشقياء على شماله ولا معنى لليمين والشمال بالنسبة لله مع خلقه الا مواقع الرضاء والتكريم والسخط والإهانة وان ادّعيتم غير ذلك فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وليس في الإحياء بعد الموت مزايا أفضلية لأن الله قد أحيي أهل الكهف بعد ما أماتهم ولبثوا في كهفهم ثلاثماية سنين كما قيل وأحيي صاحب الحمار بعـــد ما أماته مائة عام ثم بعثه ليجعله آية للناس على أن الناس شهدوا هذه الوقائع في أزمانها وصدقهم القرآن وأما رفع عيسى فمجال للشك لولا إخبار القرآن به لأن اليهود يدعون أنهم صلبوه وقتلوه ودفن بعد الصلب وقد وافقتموهم على ذلك ولكنهم ما وافقوكم على الحياة بعد الموت ولا على الرفع الى السماء اذًا فالحكم على صحة ذلك لا يكون الا بمثابة القرآن وقد كذبكم في القتل والصلب بقوله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) بمعنى أن الله حال بينهم وبينه بحال من الاحوال التي بها توهموا أنه مقتول ومصلوب ولم يكن ذلك فكذبتم القرآن وما تفطنتم لأن قدرة الله صالحة لكل عمل ألا ترون أن أصحاب الشعبذة يراهم الراؤون كأنهم يذبحون أبنائهم ويقتلونهم حيث لا ذبح ولا قتل فلا غرو أن الله سخرَ باليهود فأوهمهم أنهم قتلوه وصلبوه ليعاملهم بنياتهم عند الجزاء الوفاق وما قتـــلوه وما صلبوه فان كذبتم القرآن في أنبائه نطالبكم ببرهان الإحياء والرفع الى السماء فلا تجدون لإثباته سبيلا اذًا فالفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم الذى لم يكتم من شهادة القرآن شيئًا مما تبرأ به المسيح وأمه من كل نسبة نسبها اليهود اليهما وعجزتم عن اقامة البراهين على تكذيبهم لولا قرآن محمد عليه الصلاة والسلام وان قلتم ان الأناجيل تثبت دعواكم نقول

اذا كان القرآن الذى هو أبلغ كتاب محفوظ جاء به التواتر بهذا الضبط القويم قد وقع عندكم مواقع التكذيب فمن ذا الذى يصدق أناجيلكم التي هي لكثير من المتكلمين ونقلت من لغة الى لغة اذًا فتكون نتيجة ما قررناه أن التفضيل بهذا الشاهد الاخير لا موقع له من القبول

وأما قولكم أن المسيح ليس بمستوجب الموت لانه قدوس خال من الخطيئة والموت أجرة الخطيئة فانه قول مضحك تهزأ به أهل العقول النيرة وذلك لان الخطايا لا يترتب عليها الا موت القلوب لا موت الاجسام الذى هو بمعنى مفارقة الروح للجسد اذ الاجساد في الدنيا ماهي الا أجرام حاملة لاسرار ملكوتية تنتقل بها الى مواقعها من ارادة الله تعالى والارواح حافظة لتلك الاجرام قائمة باستمرار بقائها حتى يقضي الله منها مراده فاذا أنفذت المقادير أحكامها فارقت الارواح تلك الاجرام الى حين التقابل في الخلق الجديد وحياة البرزخ لها حال ليس هذا مجاله اذًا فلا معنى لجعل الموت أجرة للخطيئة ثم انا ان سلمنا لكم هذا الحديث الذي يصدق عليه قول القائل حديث خرافة يا أم عمرو قلنا أن الخطيئة هي خطيئة آدم التي زعمتموها اذًا نقول ان كل من مات فقد أدى أجرة خطيئته ويكون آدم قد وفا خطيئته حقها بوفاته ولا فضل لعيسى عليه في الصلب والفدية التي ادعيتموها ولا على كل ميت وهذا مضرٌّ بدينكم ومفسد لأساس اعتقادكم فلا مخلص لكم الآن الا أن تقولوا كما يقول أولوا الالباب أن الموت أمر من ضروريات كل حيٍّ لا فرق بين عيسى وموسى وكل مخلوق حتى الملائكة لقوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) ولو كان له ولد لقال ووجه ولده ولكنه لم يقل ذلك

ولقد ظلمتم أنفسكم في إقدامكم على فهم أقوال العقلاء من المتقدمين بغير

معلم يرشدكم الى اشارات أرباب البصائر في كلماتهم لان استدلالك بأقوال أشعيا النبي وغيره على صحة دعواكم بأن المسيح حامل خطايا العالم ناشيء عن علم غير معقول اذ العاقل لا يتصور أن خطايا العالم كلها حملها المسيح مع ماجاء به من الوعظ والتخويف الذي خوف به أرباب الخطايا بل الذي تعقله أهل العقول وجاءت به الكتب السماوية أن كل رسول ما أرسله الله تعالى لأمته الا ليحمل عنهم خطاياهم بمعنى أنه يرشدهم الى طريق الهدى فيستقيموا ومتى استقاموا انحطت عنهم أوزارهم أي أثقال المسؤلية التي كانت تكون سبباً في هلاكهم كما أخبر الله عن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وهكذا حال كل نبي ثم إنك لو تأملت آيات الانجيل بفكر المتأمل البصير لما فهمت منه غير هذا المعنى وهذا هو معنى قول اشعيا مجروح لمعاصينا مسحوق لاجل آثامنا والرب وضع عليه إثم جميعنا يريد بذلك أن الله أرسله ليرفع عنا أوزارنا فلو أننا أطعناه لانحطت عنا الاوزار وسلم هو من أنواع الاذى الذي تحمله وانحط عن ظهره ثقل اعباء الرسالة كما وضع الله عن محمد وزره الذي أنقض ظهره ولكننا ما أطعناه فلذلك حلت شرور آثامنا عليه وما كان أشعيا اذ ذاك يتكلم الا عن لسان بني اسرائيل فما وجد منهم من يفهم عنه خطاباً ولا من يعقل له اشارة وكذلك اشارة بطرس في رسالته اذ يقول حمل خطايانا في جسده على الخشبة يريد أن شرورنا هي التي جعلته مصلوباً وما تألم الا من أجل الخطاة والاثمة لأنه بارٌ لا خطيئة عليه فما أصيب الا بمصائبنا هذا هو معنى اشارات هؤلاء العقلاء ولكن حالهم معكم كحال القائل

غزلت لهم غزلا رفيعاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

فليت القوم الذين صرفوا منكم هممهم ووجهوا عنايتهم الى اضلال الأمم المهتدين والخوض في أعراض النبيين وهدم ما أسسه الله من قواعد الشريعة الغرّا تركوا ما هم عليه من الفتون والطغيان الذي لا ترجي لمعانقه سلامة ووجهوا هممهم لارشاد أمتهم الى طريق غير الطريق التي أوقعتهم في الدرك الاسفل من النار لانهم لو تعقلوا ما جاء به الانجيل الصحيح لاهتدوا الى طريق الرشاد

يا هذا ان منا لا يترك عجباً متعجب من اقتدار قدرة الله تعالى التي تزين لكل عامل عمله وان كان من الخطاء على جانب عظيم أنك تصورت أن معترضاً يعترض عليك بقوله لما ذا مات المسيح وقد ولد بحالة عجيبة وجاء بمعجزات ثم انك اعددت له جواباً تخليت عنده ان فيك استعدادات لحل المعضلات وكشف غوامض المشكلات وتوهمت انك افحمت السائل واتيت بما لم يأت به الافاضل

فيا أيها المفتون بخزعبلاته المغرور بمستهجن عباراته من ذا الذي أصيب بعقله كما أصبت انت بعقلك فيأتيك معترضاً بما تصورته من ما لا تحوم حوله العقول بحال من الاحوال إذ من المعلوم البديهي ان كل جسد نام يتغذى بما تتغذى به اجساد الحيوانات ثم يبول و يتغوط ويحتاج لما تحتاج اليه الاحياء لابد له من الموت اذ من لم يفته البول والغائط لا يفوته الفناء اذاً فلا يكون الاعتراض بما ذكرته الا لعارض خبل او جنون

واما قولك إنه لا يمكن ان دم انسان واحد يكفر خطايا العالم الا دمُ ابن الله الى آخر ما ذكرت فما هو الا أبدع في الفكاهة وأفكه في الإبداع من ماقبله وما أظنك قصدت به الا أن تسخر أفئدة الضعفاء الذين لا عقل لهم وانه لمن

الخرافات المضحكة لانك ان كنت على يقين من أنّ المسيح ابن الله لانه كلمته وتظن أنه قدم نفسه للصلب عن رضاء واختيار ليفدي العالم كله إذاً انقول لك إنه ما فعل الا عبثاً لان كل انسان لم يزل مسؤلاً عن خطاياه مكبلا بأوزاره رهين ما كسبت يداه ولا تذر وازرة وزر أخرى اذ لا ينتصب للعدل ميزان اذا كانت الخطايا تحمل عن أربابها المصرين عليها الذين ماتوا وهم كافرون اكرماً للمسيح فكيف يكون العدل الذى هو اكمل وصف كل حاكم في الارض وبه يحكم أحكم الحاكمين في القيامة اذاً فمن ادعى أن بارًّا يحمل خطيئة فاجر لم يعمل عملا صالحاً ينجيه ثم مات عليه تائباً أو تاب قبل موته توبة نصوحاً وان لم يعمل عملا صالحاً بغير شفاعة بعد عقابٍ فهو في ضلال مبين

ألا تتعقل يا هذا قول يوحنا الحوارى الذى نقلتموه عنه اذ قال ان أخطأ أحدنا فلنا شفيع عند الله الاب يسوع المسيح البار فقوله الاب يريد به المربي لأمته كما يراد به في جانب الله اذا وصف بأنه آبٌ فليس الا بمعنى المربي لعباده ثم قال وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل لخطايا العالم وذلك لانه ماجاء الا بالدين الذى جاءت به الرسل وهو عبادة الله سبحانه وتعالى وعدم الإشراك به وما أجمعوا جميعاً الا على هديٍ واحد وهو الذي أشار الله اليه بقوله لنبيه (فبهداهم اقتده) والكل كانوا على قلب رجل واحد فيما يدعون اليه وفي آدابهم الكمالية وان كانوا متفاوتين في الكمال اذاً فيقال لكل واحد منهم أنه جاء لحمل خطايا العالم ومن تصور لقول يوحنا معنى غير هذا فهو ممن دب دبيب الغرور في رؤسهم اذ لا يتصور متصور أن عيسى عليه السلام حمل خطايا من عبدوا الاوثان وغيرها من الآلهة الباطلة وجحدوا رسالته وكفروا به ولا خطايا الذين صلبوه وآذوه

فمن تفطن لقول يوحنا علم أن عيسى كان كباقي الرسل لانه ما أزاده عن كونه شفيعاً عند الإله وأنتم تزعمون أنه هو الذي يدين الخلائق يوم القيامة فلا يجوز استدلالكم بقول يوحنا لانه يكذبكم فيما تدعون وأنتم تكذبونه فيما يدعي وما ذلك الا لانكم تدعون غير المعقول لجهلكم بما هو الدين وما هو الخلاص اذ لا معنى للخلاص الا أن يعمل الانسان أعمال الابرار ويتخلص من رذائل الاشرار بإرشاد من يرشده فلا يكون معاقباً على جناية يوم القيامة ولهذا جاءت الشرائع وتتابعت الرسل وقالوا لأممهم اعبدوا الله مالكم من إله غيره وكان ذلك قبل أن يوجد المسيح وبعده فهلك من هلك عن بينة وأحيا الله بالتوفيق من أحياهم عن بينة وهكذا جاء المسيح بما جاءت به الرسل فمن جحد رسولا منهم فقد جحد الباقين من حيث لا يشعر ومن تعبد بدين من الأديان مع جحوده الآخر فما عبد الا هواه فافهم ان كنت رشيداً وما ذكرناه لك هو معنى قول يوحنا لا ما فهمتموه عنه لان من شؤنكم يا أهل الكتاب التحريف والتبديل كما شهدت بذلك الآيات القرآنية التي حكمناها بيننا وأما قوله أنه يشفع في كل من يتقدم به الى الله فهو حق ولكن لا يتقدم به الى الله الا من اتبعه في أقواله وأعماله وأحواله ولقد قال فيما أخبر الله عنه في كتابه العزيز (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وتليت هذه الاية بين النصارى في عهد رسول الله وما كذبوها فمن لم يؤمن بها فما تقدم به الى الله بل كان هو واليهود على خط مستقيم حيث ساروا في مناهج التكذيب وأما قوله باقٍ الى التمام فكانا نعتقد اعتقادا جازماً أنه سينزل لقتل الدجال ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون نزوله من علامات قرب قيام الساعة هذا هو معنى قوله باقٍ

الى التمام ولكن الجهل أعماكم عن التبصر في ما تعقله العقلاء اذ لو كانت شريعته باقية الحكم وكان ذا عناية بكم لما منعه من العود اليكم في كل اسبوع مانع لان الارض هي منشئه ثم هي والسموات ملك أبيه ولو أنه صلب نفسه لخلاص البشر وأراد عدم وقوعهم في الخطايا بعد ما خلصهم لجاء للظالمين منهم بجنود من السماء لا قبل لهم بها أو كان يرسل في كل قرية ملكا من جنس الذي جاء الى مريم في صورة آدمي ليرشد الناس الطريق القويم وما عندكم من قول تدحضون به هذه الإحتمالات لانكم خرمتم بما زعمتموه قانون العدل الذي جاءت به الكتب السماوية التي بينت أن الله أمهل الناس ليوم الجزاء فقلتم أن المسيح حمل خطايا العالم إذاً فلا يجوز بعد ذلك جزاً فهل منكم من يردعه الحياء والخجل ويبعد قومه عن هذه الاعتقادات التي تركتكم أمماً لاحظ لكم في السعادة الأبدية أيظن أحدكم أنه لا يعبد الله ولا يتقيه ولا يتأدب بآداب العبودية ثم يكون كالذين دخلوا ملكوت الرب في نيل السعادة ولو حفظ الأناجيل كلها واعتبر المسيح عشرة آلهة في بعضهم ان هذا لهو الضلال البعيد

يا هذا أليس من الوقاحة وسوء الادب وتحكم الشقاء المهلك أن يقوم جاهل سفيه الخلق بين أمة آمنت برسولها الذي مضت عليه قرون عديدة قائلاً إن رسولنا أفضل من رسولكم ورسولكم ليس برسول أليس هذا من عمل الصبيان الجهلاء أليس من السفه ورذائل الطيش والجهل المهلك أن يقول قائلكم ان المسيح يدين الناس يوم الدين فهل بلغ أباه الذي تدعونه من الكبر عتيا وخلع نفسه من الملك وجعل لابنه الشأن في إدانة عبيده أم هو الاله وله يومئذ أن يستحضر من صلبوه وقتلوه كما زعمتم ويقول لهم لم صلبتموني وتجرأتم على قتلي هل يحسن ذلك بحال الإله العظيم الذي حارت العقلاء في تصاريف حكمته وتدبيره

وعجزت عن إدراك كنه عظمته

أليس من السفه أن يقوم نقص العقل والدين مفضلاً بين أرباب الكمال ومفرقاً بين الإخوة الذين ما تنازعوا ولا تخاصموا ولا جاء أحدهم بما ينقص حال الآخر ولا بما يعيب أعماله ولا بما يشين أحواله ولا ذهب واحد منهم الى ما يخالف دعوة أخيه أليس هذا من عمل الشيطان الذي من دأبه ايقاظ الفتن وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

يا هذا لو أن أناساً كانوا اخوة وتركهم مورّثهم على حال لا نزاع فيها ولا شقاق بعد ما عرفهم أنه ادّخر لهم ذخيرة لن يصلوا اليها الا بعد أن يرحلوا عن مكانهم الذي رحل عنه قبلهم ولا ينالها منهم الا من كان على الاخلاق التي كان عليها فدأب على تلك الآداب منهم من كان ذا عقل وافر ثم تعاقبوا الرحيل وانقرض متبعوه أمماً بعد أمم حتى تناسى نسلهم الأخلاق التي كان عليها ذلك الموصى ثم أتاهم آت ذوا وجاهة يقول اني أنا الاخ الوحيد لأبيكم واني لذوا علم بما كان عليه وذوا دراية بمكان تلك الذخيرة وبطريق الوصول اليها وما أريد منكم ان اتبعتموني جزاء ولا شكورا ولا أكلفكم إلا بحسن متابعتي حتى تفوزوا بما فاز به أسلافكم من قبل فافترق القوم فريقين منهم من تابع ومنهم من تعاصى فعلى أى الفريقين تحكم العقلاء بخسافة العقل وسوء الحظ وتحكم الطيش أظن أنك لا تخالفني في الحكم على من أبى متابعته بالجنون وسوء الخلق سيما من قام في وجه ذلك الداعي سباباً أو لعاناً أو منكراً عليه حاله بغير علم ولا كتاب منير

أليس من السفه أن تقول للناس توكلوا على المسيح في الخلاص لانه ليس أحد غيره للخلاص ومن لم يتوكل عليه يطرح في جهنم

أظنك يا هذا لا تعقل معنى التوكل ولا معنى الخلاص اذ الحق سبحانه وتعالى الذي له ملك السموات والارض ألقادر على كل مايريد لم يقل في كتاب من كتبه السماوية لعبيده توكلوا عليّ في نجاتكم من عذاب النار وما نادى بالتوكل إلا في أمور الدنيا وفي التوفيق والهداية الى سبل الرشاد وأما في أمر الآخرة فما أنزل في كل كتاب الا ما يشير الى أن العدل هو الذي له الدولة يوم القيامة و به يكون العقاب والثواب فان كنت تريد بالتوكل في الخلاص أن المسيح هو الذي يوفق الناس لفعل الخير فليتوكلوا عليه هنالك يقوم لك معارض قائلا لو كان للمسيح قوة التوفيق والهداية لما أجهد نفسه في إرشاد من صلبوه ولم يجد جهده نفعاً ولا رشد أمتكم كلها الى طريق الخير وسبل الرشاد ولجعلكم أيها المبشرون أرفع من الحواريين في درجات الكمال مقاماً حتى كنتم تحيون الموتى وتبرئون الأكمه والأبرص وتأتون بما أتى به المسيح فما أنتم في هذه الدعوى الا ضالون ومضلون

وان كنت تريد بالتوكل عليه في الخلاص الأبدي بمعنى النجاة من النار وتقصد أنه هو الذي له الامر والنهي يوم القيامة لكونه الهاً فقد تقدم الكلام على ذلك بما لم تجد لإنكاره سبيلا وان كنت تريد أنه له الشفاعة عند الله يوم القيامة فمن المعلوم الضروري أن كل نبي أعرف بحال أمته وليس لموسى مثلا أن يشفع في منكري رسالة عيسى ولا بالعكس فمن أين لك هذا الخبر الذي لم يصادف مكاناً من الصدق

وان كنت تريد بالتوكل عليه في الخلاص أن من اتبعه نجا فقد قدمنا أن هذا حال كل نبيّ ومتى ثبتت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون للمسيح دخل في سلوك طرق النجاة من عهد بعثة هذا النبي الذي جاء خاتم

النبيين وبعث بالدين القويم الذي من لم يتدين به هلك اذ لو كان عيسى حياً ما وسعه الا اتباعه اذ المقربون الى الله هم أحق الناس بالإنقياد لأوامر الله وما أرسل الرسل الا الله

يا هذا ان حقيقة المحاورة تلزمك بأحد أمرين اما التصديق على خط مستقيم واما التكذيب بلا محاولة ولا تلون لانك في استلالك على صدق دعواك بما أنت شاكٌّ في صدقه تعد مفلوناً محاولا فان كنت موقناً ومصدقاً بالقرآن الذى أقمته برهاناً على صدق دعواك عالماً بأنه من عند الله وأنه صحيح الدليل صادق الحجة في جميع أنبائه ودعاويه فقد أصبح الإشكال مرفوعاً والجدل ممنوعاً اذ القرآن ما ذكر عيسى في موضع من المواضع الا لنفي ألوهيته التي ادّعيتموها أو بنوّته وما جاء القرآن في ذلك الا بما يطابق العقل والنقل وان كنت مكذباً بالقرآن فلا حاجة اذاً للاستدلال به ونكون نحن وأنتم على طرفي نقيض لا توافق بيننا ويكون كل دليل أقمته على صحة دعواك في عيسى باطلا لأنه لولا القرآن لكانت حجة اليهود على تكذيبه أقوم من براهينكم فانهم هم الذين قتلوه وصلبوه وما أصابهم من بأس فلو كان ولدا لله لما تمكنوا من ذلك العمل وكذلك لو كان إلهاً وأما الرسالة فقد نزعتموها عنه بدعواكم الباطلة وأخرجتموه من دائرة النبوة بتغاليكم الذى نهاكم الله عنه في كتابه الحكيم وما بقي بيننا وبينكم ما يركن اليه في صدق دعواكم الا التواتر والإجماع وهما أيضاً لا تفاوت بيننا فيهما فان حكمنا بصدقهما فنبأ محمد صلى الله عليه وسلم أجمل تفصيلا وأقوم قيلا وان كذبتم اجماع هذه الامة وأنبائها فأنتم إذاً أكذب وإنكم لمبطلون فلا يسعنا الا أن نتبع قوله تعالى (قل كلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) ثم أنشد المسلم قائلا

تزخم الزيغ في حان الأباطيل ... والكفر وافا بوفد القال والقيل
وزخرف القول آخاه وعضده ... والاثم ساد بتمويه الأقاويل
وزمجر الزور واستدعى بطانته ... والفسق أنشد يا أخت الخنامیلي
واستبشرت خيبة الآمال حين رأت ... جند الملاهي تسوم الفسق من ميل
وأصبح الناس سكرى لا عقول لهم ... كأنما مزجوا الصهباء بالنيل
فلا صبياً تراه يستحي خجلا ... وليس في القوم شيخ غير مهبول
يا روع الله قوماً في نصائحهم ... ما سطروا غير تمويه وتضليل
كأنما الله لم ينزل لهم كتباً ... جاءت تنادي بتحريم وتحليل
أو أنه لم يوافيهم بمن بعثت ... آياته وجلا الظلما بمصقول
وجاء يهدي بآيات مفصلة ... فينا الى الآن نتلوها بترتيل
لكنما الناس تاهوا في غوايتهم ... فحالهم في الملاهي حال مخذول
هم يهجرون الذي جاء الشفاء به ... وجاء آخر ارشاد وتنزيل
وينزعون الى خلطٍ تزخرفه ... صحف الجرائد من علم الهابيل
ما زال كل سفيه في لسانته ... يأتي بجمل زيغ في التفاصيل
حتى غدا الناس في ريب وفي دهش ... وأصبح الدين أمرا غير معقول
ظلوا حيارى دجا ظلماء فتنتهم ... صُمٌّ عن الرشد بل عن كل منقول
الا الروايات فالمفتون يعشقها ... لأنه ذوا هيام بالأباطيل
ومن لهم في مباني العلم مقعدة ... قد أولوا الذكر بغياً شر تأويل
واستبدلوا الدين بالدنيا فغادرهم ... صرعى التلون في الاحوال كالغول
لذلك اتصلت بالكفر نسبتهم ... فلا ترى فيلسوفاً غير موصول
وعاب باغي النصارى دين مسلمنا ... وأنكروا حين زاعوا وحي جبريل

وجاء جاهلهم يدعوا لمصرعه ... صرعى الغواية إخوان المساطيل
شاب الزمان على عيب فلا عجب ... ان أصبح الجد يسعى سعي مهزول
والهزل يجرى بأهليه الى عمل ... إن ما تزنه تجده غير مقبول
أنظر لخيبة من قادته شقوته ... لحل عقدٍ متينٍ غير محلول
يروم إطفاء نور الله لا نظرت ... اليه أم بنيه غير مخبول
فنادِ ذاك الذى صالت سفاهته ... عليه من شرّ ما يأتي بمسلول
وقل له يا غويًا لا يتابعه ... سوى غبيّ مريض القلب معلول
هلاّ انثنيت الى فساق أمتكم ... كي يستقيموا على هدى الاناجيل
ألا تراهم على الآثام مجمعهم ... مثل الذُّباب يوافي شر مأكول
لا دين يردعهم لا خوف يصدعهم ... بل دين أرشدهم حب التماثيل
فذر سبيل الهدى يا غرُّ يتبعه ... أهل الصداقة لا أهل الأقاويل
هل يتبعك وأنت الضال يا قدما ... شق القذارة إلا كل بطليل
أتبتغي هدم دين نور شرعته ... قد تابع الرشد من جيل الى جيل
يا أمة المصطفى ما بال نائمكم ... يبول في فرشه كالطفل قولولي
هلا انتبهتم لدين جاء يجذبه ... لصٌّ كعضوٍ من الاعضاء مفصول
قد كان أقوم دين يستعان به ... على حصول مزايا كل تكميل
ما زال في الناس مرجوًّا ومتبعا ... وذا رشاد وإرشاد وتوصيل
حتى أتاكم فما ألفي لكم شبهًا ... إلا القشور لمطعون ومخذول
لا خير فيكم ولا تقوي تبصركم ... أن تتبعوا خير مرجوٍّ ومأمول
وقرنكم قرن سوء شر فتنته ... ترمى الشرور كقذوف القنابيل
يا ليت عامكم يأتي بمحنته ... للظالمين كهام الطير والفيل

يا فاسقا يعتطي شر المطيّ الى ... قاع السعير صهِ يا شر مخذول
تعيب خير البرايا وهو سيد من ... وافا الأنام بمتلوٍّ ومعمول
ما أنت الا كشوها وهي في قصر ... عابت رشاقة ذات الحسن بالطول
ما عاب يوماً كريما فعل ذي كرم ... وهل يعاب شريف غير مجهول
لكنما اللؤم ميال بصاحبه ... الى البذائة يا شر المعاويل
أتبتغي هدم مجد تحت رايته ... لم ينحُ ناحٍ سوى أفعال تفضيل
هل عبت الا وجيهاً في وجاهته ... والجاه أوسع محبوب ومقبول
لا جائك الليل الا والردي معه ... ولا غدوت بعضو غير مشلول
فاخسأ وصه واستح واخجل فانك في ... جبِّ الجهالة تهزي هزي مملول
أضحكتنا يا غليظ القلب من سفه ... حاكا سفاهة مأخوذ ومغلول
لكن لك العذر إخوان التلول لهم ... في سبِّ كل مليك كل تطويل
فأفرغ جرابك وأفعل ما تشاء فما ... يأتي الأياس بغير الفحش في القيل
أصبحت ذا مدية بالبغي ماضية ... بها أظنك تمسي شر مقتول
ان الليالي وان ظلت تسالمكم ... من العجاب تريكم كل مفعول
والله يمهل لا يخشى فوات فتى ... مفتون غيٍّ تمادى في التعاطيل
فاصبر قليلاً وكن للبطش منتظراً ... فمنك فيك تفاجأ بالاساطيل

ثم أشار للمسيحي قائلا لقد تبين منا سبق بيانه أنك المخطئ في ميزانك المبطل في اقامة دليلك وبرهانك وما بقي علينا الآن الا أن نريك كيف تقام الموازين بالقسط ثم نوافيك بما توعدناك به من ايقافك على حقيقة ما أنت عليه من الجهل الذي حال بينك وبين الإحساس به حائل الطيش وظلمات الغرور فنقول

ان الكتب السماوية كلها ما صدرت الا عن ذاتٍ مقدسة ذات حكمة باهرة

تضع الاشياء في مواضعها محكمة الابداع والتنزيل وما صرحت تلك الكتب بتفضيل أحد الرسل على الآخر ولكن القرآن الذي جعلناه حكماً جاء بإبهام التفضيل في مواضع منه كقوله تعالى(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فالذي تتسابق اليه الافهام في هذه الآية أن موسى أفضل من عيسى لانه بدأ به في ذكر مزايا التفضيل وفي آية أخرى يقول (وآتينا داوود زبوراً) وأخرى يقول (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) فلذلك لا يصوغ لوازن أن يرجح البعض عن البعض الا اذا كان على بينة من ربه وعلى ذلك يكون التفضيل بين محمد والمسيح لا معنى له لانه ربما كان من بقية الرسل من هو أفضل عند الله من المسيح فالذي استنتجه أرباب البصائر من المنقول المطابق للمعقول هو التفضيل بين محمد وبين جميع الرسل وذلك لما فهموه من فحوى قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذالكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فاستنتجوا من هذه العناية أنه لا بد أن يكون له عظيم شأن فوق شؤون الرسل ثم في آية أخرى قال له (وانك لعلى خلق عظيم) وعدد منته عليه في كثير من الآيات بما يفيد أنه يريد أن يسترضاه كما يسترضي الحبيب حبيبه ثم طابقوا بين ما ورد به القرآن الحكيم وما وردت به الاحاديث النبوية وبين الدلائل العقلية فما وجدوا له في الرسل شبيهاً وذلك لأوجه منها أن من المعلوم الضروري أن الاديان متحدة المبدأ والغاية وان اختلفت مسارب السير بالسالكين لاختلاف ظروف الاحوال في الامم واختلاف هم الرسل وعزائمهم ولا شك أن كلما كان

متحد المبدإ والغاية يكون اللاحق أحوط بعلمه من السابق ومحمد خاتم الانبياء وقد قال الله له بعد ما بين له أحوال الرسل (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) اذاً فيكون هو الارقى فى المعارف الدينية والاخلاق الكمالية بلا ريب ولا جدل ومنها أن كل عامل يشرف عند من استعمله بشرف عمله كامراء الجنود مثلاً فلا يتساوى أمير العشرين بأمير العشرة ولا أمير الالف بأمير المائة ولا تكون منزلة أحد الامراء كمنزلة قائد الجيش فكذلك تكون مراتب الرسل فلا يتساوى نبي أرشد أهله وأهل قريته برسول أرسل الى أمة من الامم ولا يتساوى من أرسل إلى قوم قليلين بمن أرسل الى جميع الامم وما أرسل الله محمداً صلي الله عليه وسلم الا لكافة الخلق وليس كذلك كل الرسل

ومنها تفاوت مزايا الرجال فى أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم فلقد تربى محمد صلى الله عليه وسلم بين قومه فنشأ صادق القول صالح العمل ظاهر الاخلاق فى كل أطواره من الطفولية الى أن صار نبياً بعد الاربعين محبوباً فى عشيرته وما قلاه سفهائهم الا بعد دعوة النبوة فكان صدق حاله من جملة النصراء له على تصديق دعوته ثم لما كان عليه من الاخلاق الكريمة وهيبة السكينة والوقار قد دخل الناس فى دينه أفواجاً وزمراً وما كانت الرسل كذلك بل فارقوا الدنيا جميعاً وما آمن معهم الا قليل وأما موسى فتبعه كثير ثم افتتنوا بالعجل وهو بينهم ولما هلك افتتنوا بعده وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله لكفرهم بعيسى كما كفرتم بمحمد ومنها أن الله سبحانه وتعالى لم يسلمه لاعدائه ولم يرض له بالإهانة بل أهلك من كانوا يؤذونه وقال له (إنا كفيناك المستهزئين) ثم حرسه بكلائة رحمانيته وقال له (والله يعصمك من الناس) فما قتلوه ولا صلبوه بل نصره الله نصراً عزيزاً وفتح له فتحاً مبيناً وكان ذلك دليلا على كمال رتبته وعلو

منزلته عند ربه فمات عزيزا مهابا مكرما محبوبا كما عاش وقال له أبو بكر رضي الله عنه عند الغسل طبت يا محمد حيا وميتا

ومنها أنه جاء في تعليمه لأمته وتأديبه لهم بما لم يأت به نبي قبله فقد استكمل جميع الآداب العملية والقولية والحالية في اصلاح المعيشتين الدنيوية والاخروية وما أضر بواحدة منهما فمن تفقد تلك الآداب وعمل بها لا يهلك ولا يؤله فقر ولا يطغيه غنى ومن لم يتأدب بتلك الآداب خالطه الغرور والافتتان وهلك من حيث لا يشعر فان قلنا كما يعتقد المؤمنون أنها آداب قرآنية سماوية وكان الله هو المؤدب له بها كما قال أدبني ربي فأحسن تأديبي كان في ذلك أقوى دليل على عناية الله به فوق عنايته بباقي الرسل وان قلنا كما زعمتم أنه ليس برسول اذا نقول أن الطبيعة التي اتخذها الضالون إلها لم توجد من النوع الانساني من هو اكمل منه ولا أفضل حالا وعلما وعملا فيكون هو أفضل من كل موجود على وجه الارض من عهد آدم حتى الآن وما عليه من بأس في كفر من كفر به فقد قال الله تعالى (يا أيها الناس قد جائكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها)

ومنها أن أمته هي خير الأمم لاننا لا نجد أمة جاءت بما جاءت به هذه الأمة من حفظ قواعد الدين وتقويم أساساته وقوائمه التي أجهدتم أنفسكم أنتم وأعوانكم من الفلاسفة أعواما عديدة في هدمها ومع ذلك ما نراها الا قوية البنيان متينة الاركان لا يجهل فضلها الا من أضلهم الله وأعانكم الشيطان على إغواء اخوانهم من الجهلة الذين لا يعلمون شيئا

ومنها أنه لم يأت نبي من أولي العزم بما أتى به هذا النبي الكريم من الاعمال والمجاهدات التي لا يتحملها ولا يقوم بأعبائها الا من تقوى بمدد سماوي

فانه أعطى البشرية حقوقها وقام بجميع حقوق الانسانية التي ذكرناها فى كتابنا المسمى بنشر الاسرار البشرية من طوايا الاخلاق المحمدية وما هي الا اعطاء كل ذى حق حقه فقام بأداء حقوق الرسالة بأكمل ما قام به كل رسول كما هو مشاهد ومعلوم وأدى حقوق العبودية أحسن أداء وقد شهد بذلك أكابر الامة وما أظن أن مطلعاً من المطلعين على الكتب الدينية ينكر ذلك وها هو القرآن يشهد بذلك و يشهد به كل عاقل حتى قال الامام محيي الدين ابن عربي وهو مربي العارفين على رغم أنف كل ما كر جحود اعترافاً لنبيه بالفضل لقد وزنت عبوديتي بعبودية محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتها كشعرة سوداء فى جلد ثور أبيض ثم قام بواجبات الاوامر الالهية كلها لم يفته منها فائت فكان فى وقت الجهاد يقيم فرائض الدين و يرضي أزواجه ويعلم قومه وينشر وصاياه ولا يشغله شأن عن شأن وما ذلك فى طاقة البشر الا من كان ذا عناية ربانية و بالجملة فقد فارق الدنيا وما لمخلوق عليه من حق والله راض عنه لحسن استقامته كما أمر وشدة اعتداله فى كل قول وحال وعمل وها هي الآثار على بعد تناديك والحق فى صماخ أذنيك وصميم قلبك يناجيك فلا تتحلى بقرطق الصمم ولا تكتحل بمراود العمى ولا تجعل قلبك صخرا بين الاحجار ولا تتحمل على عاتقك الكليل أشد الاحمال الثقال ولا تكن ألعوبة للشياطين ولا تغرنك تمويهات الضالين فان خطب الجحود هائل وعاقبة الاصرار على الطغيان وخيمة وأوحال الشبه فى زمنك هذا معجونة بسموم الافتتان المهلكة ولا ينجوا منها الا كل متحفظ

ولما علم الفضلاء من العقلاء كل ما ذكرنا تيقنوا صدق هذا النبي الكريم في كل أنبائه لما تحققوه من أنه منزه في كل ما جاء به عن الاغراض والغايات النفسانية فلما قال ما معناه أنا سيد ولد آدم ولا فخر أنا أول من تنشق عنه

الارض يوم القيامة ولا فخر أنا حامل لواء الحمد ولا فخر ماوسعهم الا تصديقه بعد ما طابقوا بين ذلك وبين ما ورد في القرآن وبين ما شهدوه من فضائله التي لم يتمكن من الحصول عليها مخلوق غيره فاعترفوا بفضله عن كل من أقلته الارض وأظلته السماء لان شريعته أوضح الشرائع بيانًا واكملها تبيانًا وأسماها أدبًا وأسطعها نورًا

ولا عبرة لما اختلج في صدور الفلاسفة التي هي مجال الشك ومحط رحال الشرك الخفي ومصدر الشبه ومورد الريب منا توهموه من أن بعض العمال من الحكماء أو غيرهم ممن سخرهم الله سبحانه وتعالى ملهم النحل والنمل لعمل من اعمال الدنيا أو أشغلهم بالبحث في المعالم الكونيـة التي ما علموها الا من طريق الظن يساوي الرسل في مراتبهم الوجودية ومكانتهم العلوية ومواهبهم الإلهية فان ذلك من العبثيات التي كانت سببًا لضلال هذه الطائفة التي تدعي العقل كاذبة وتتبع الآراء الغير صائبة فانمـا مثل من يدعي ذلك كمثل من يقول ان النقاش الذي يزين المنازل أعلى درجة من أمير البلد او أن صانع الآلات الكهربائية أوسع عقلا من الملوك ان هذا لهو الضلال المبين لان أهل هذه الطائفة ما تفطنوا الى أن الملك لله يديره بحكمة علية ويلهم عباده الاعمال على مقتضايات الاحوال بمقادير معلومة كل ميسر لما خلق له حتى يكون النظام معتدلا ويكون كل متفقد في الوجود موجودا عند استدعاء الحاجة اليه في كل لمحة ونفس فلذلك قامت قيوميته بواجبات شؤنهم الهامًا وتدبيرًا وايجادًا وتقديرًا والله بكل شيء محيط فاغتر الضالون بالظواهر وحاروا في ظلمات المظاهر والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ياهذا لم يكن فوق ما بيناه في هذا المقام في الاستطاعة الآن بيان ولا

دليل أوضح من ذلك ولا برهان فان تعطش فؤادك الى ما فوق ذلك فعليك بانقياء الامة الذين علمهم الله العلوم اللدنية وآتاهم الفتوحات الصمدانية وقليل ما هم في الامة المصرية الآن ولكن من جدّ في الطلب وجد والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً فلنرجع الآن الى بيان حالك وفساد أعمالك فنقول

يا هذا أليس من الجهل الذي جاريت فيه كفار قريش وسابقت به عبدة الاوثان الى سوء المصير أن تنكر معجزات محمد صلى الله عليه وسلم وتزعم لجهلك أنها ما كتبت عنه الا بعد موته بمائة عام ثم ضربت مثلا نفيت به صحة ثبوتها فكنت بذلك المثل جاحداً لكل ما جاءت به التواريخ الارضية والسماوية اذ الاناجيل المعربة ما كتبت الا بعد موت عيسى عليه السلام وموت من نقلت عنهم بمئات من السنين وكذلك التوراة ثم كل تاريخ من تواريخ الامم ما كتب الا عن أخبار متواترة بعد موت من ذكروا به بعدّة قرون فهل يكون تأخير تحرير التسطير حائلا بين ماسطر وبين ثبوت صدق وقوعه ان هذا لجهل عميق

يا هذا أما يكفي في ثبوت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ما وردت به آيات القرآن في مثل قوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) يريد أنه صلى الله عليه وسلم رمى الحصى في وجوه الاعداء بيده الشريفة فانقلبوا عميا وعوراً وهزمهم الله عقب رمي الحصى وقد قال قبل هذه الآية (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) لانه أنزل جنوداً من السماء لنصرة ذلك النبي الكريم بدليل قوله (وأنزل جنوداً لم تروها) وقد سطرت تلك الوقائع في كتب التواريخ فهل يكون تسطيرها بعد مضي قرون دليلا على أنها لم تكن

أما يكفي في ثبوت نبوته وعلو منزلته آية شق القمر على جبل أبي قبيس وقال الله تبارك وتعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقد دونت هذه الواقعة في السير والتواريخ

أما يكفي في ذلك آية الإسرى وقد قال الله تبارك وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) وقد أثبت لقريش صدق مسراه بما أجابهم به عند ما سئلوه عن أشياء ما كان يعلمها ولا رآها وأنبأهم عن قافلة قومهم وسطر ذلك في السير والتواريخ فهل لجاحد أن ينكر ذلك الا اذا كان ذا خبل أو جنون

يا هذا ان من المزايا التي سادت بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم جميع الأمم وانها لمن أكمل المزايا التي وهبها الله لهذه الأمة لأنها خير أمة أخرجت للناس وقال الله في كتابه العزيز بعد قوله (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) فكانوا هم العدول من دون الأمم إذ الشاهد لا يكون الا عدلاً فلذلك وهب لهم هذه المزية ألا وهي اتصال السند في منقولهم عن ثقاة الرواة وتحقيق صدق الناقلين وحسن أخلاقهم وقوة إيمانهم حتى قيل ان الإمام البخاري سافر زمناً لينقل حديثاً عن بعض الرواة فلما جائه وجد حماره منطلقاً وذلك الرجل يريه شيئاً من العلف ليتمكن من إمساكه فتركه وانصرف وقال إن هذا متحايل لا ينبغي ان ينقل عنه خبرٌ وما نقلت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم إلا عن ثقاة أمناً فهل يكون تأخير التحرير قادحاً في صدق الناقلين إن هذا لإفراط في التهور وتهور في الافراط في الوقاحة وسوء الأدب وإساءة هذه الأمة التي لم تواجه أمتكم بما يسؤها انكم اذاً لمن الظالمين

يا هذا لقد بينا فيما تقدم أن جهلكم بما هي المعجزات أنتم ومن سبقوكم بالكفر من كفار قريش هو الذي أداكم الى انكار حال محمد صلى الله عليه وسلم لانكم تريدون معجزات كمعجزات الرسل الماضية وهذا لا يكون ولو كان

لكان عبثاً لان المعجزات ما هي الا خوارق عادات ومتى تشابهت لا تكون من خوارق العادات إذاً فتشابه المعجزات ممنوع وما جاء رسول بما جاء به غيره من المعجزات أصلاً ولو تأملتم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بعين الناقد البصير لعلمتم أن معجزاته أرقي المعجزات وأكملها وأسماها لان كل معجزة تتبع في كمالها من نزلت لتأييده فأين شق القمر من نزول المائدة فشتان بين أمة كانوا جياعاً طلبوا ما يأكلونه وبين رجال أولي عقول سامية وهمم عالية طلبوا شق القمر وشتان بين من نزلت الملائكة لمدافعة أعدائه ورمى الله الحصى في وجوههم من يديه ففعل ما فعل بهم من الأذى الذي كان سبباً في هزيمتهم وبين من صلبه القوم وقتلوه وماله من نصير ثم جاء قومه من بعد ما صلب مقتولاً يقولون إنه هو الذي أسلم نفسه وهل يقول المغلوب المكابر الا ما يقوم مقام الإعتذار تقوية لما يدعيه خوف الإفتضاح ولكنكم ما جئتم الا بعذر أقبح من الذنب لانكم ادعيتم الألوهية واعتذرتم عن الصلب بالفدية فكان إضراركم بمرتبة الألوهية أشد من الصلب والقتل فلقد قال الله تبارك وتعالى في دعوي البنوّة (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ان كل من في السموات والأرض الا آت الرحمن عبدا) وقال في آية أخرى ردعاً لكم (انكم لتقولون قولاً عظيما) وقال أيضاً (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الاّ كذبا) فاذا كان هذا كله في دعوى البنوّة فكيف بحال من منكم يدعي الألوهية فهلا تفكرتم في هذه القرائن وتيقنتم أن كل ما جاء به المسيح ما كان الاّ لاقامة الحجة على قومه الذين لم يؤمنوا به لا بقصد التصرف في الاكوان ولا لتعديل نظام

الوجود وما كان عمله ولا علمه بالنسبة لعمل الألوهية وعلمها إلا كنقرة الطائر في البحر الزاخر

يا هذا ان أعمال محمد صلى الله عليه وسلم كانت كلها كمالية لأنها ما صدرت الا عن رجل كامل لتثبيت قوم عقلاء وأما معجزات غيره فما كانت الا موافقة لأحوال الامم وكذلك تكون معجزات الرسل مطابقة لقرائن الاحوال الحاضرة فلو أن الله تبارك وتعالى أجاب كل سائل في طلبه من الكفار الذين كانوا يسئلون الآيات من محمد ومن غيره لما كان للقهر وكبرياء العظمة سلطان معلوم ولكن العزة الإلهية تأبى موافقة من لا عقول لهم فآتت كل رسول من المعجزات بما يناسب حال أمته ثم نادت بقولها (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقالت للذين آمنوا (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) إذاً فما علينا من حسابكم من شيء فمن أراد أن يتنور بنور الهدى ويسلك سبيل الرشاد ويستكشف غوامض ما أشكل عليه في أمر دينه فليراجع كتب الصوفية أمراء الامة الاسلامية فقد قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرًا على الكبائر من حيث لا يشعر وذلك لأنهم قوم ورثوا النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأعماله وأحواله ومن فاته هذا الميراث ليس بعالم وان أحاط بجميع الفنون علماً إذ العلم اذا لم يوصل الى طريق النجاة فالجهل خير منه فمن شاقه أن يرى آثار الصالحين ومزايا المتقين وأن يسلك بتصحيح عقيدته مناهج الفضلاء ويطلع على أسرار مراتب الانبياء ويتحقق حال محمد صلى الله عليه وسلم وفضله بين الرسل ومزايا أمته بين الامم فليتأمل مطالع الانوار من تلك الآثار ألا وهي كتب السادة الصوفية فإن في تلك الاسفار التزود

لأشق الاسفار وهو السفر الذي لا نهاية له الا الفوز الدائم أو الفم الملازم فليبادر من كانت نفسه كريمة عليه بمطالعة ما دوّنوه من مؤلفاتهم فانهم نجوم الهدى وأئمة الاقتدى لا يشقى لهم جليس وقاليهم في القيامة ماله من أنيس والله ذو فضل عظيم

أليس من الجهل والمغالطة أن تدعي في مبدإٍ أقوالك أن المسلمين اتفقوا مع المسيحيين على عبادة اله واحد فمن ذا الذي أغراك بأن تفتري على الله الكذب جهارًا في دعواك هذا الاتفاق الذي لم يكن وهل بين المسيحيين والمسلمين نقطة خلاف أهم من هذه النقطة الذي نفيتها بقولك وأثبتها بقلبك وما هي الا موقع الخلاف بين الامتين ولولاها لأطاع أمتكم الله ورسوله وما سجدوا لإله سواه ولكنهم اتبعوا أهوائهم فخالفوا وكفروا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقام المسلمون وراء نبيهم قائلين انما نعبد الاله الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد القائل (ذالكم الله ربكم خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وأما المسيحيون فقد قاموا وراء أهوائهم وطوع ظنونهم وخلف أسلافهم الذين تقلبت بهم الاهواء وحكم القرآن بكفرهم قائلين انما نعبد الإله الذي خرج علينا من بطن مريم متكلمًا وعاش فينا وليدا ولبث فينا سنين يأكل ويشرب ويبول ويتغوط ثم قتله اليهود وصلبوه وصعد الى السماء وانه لهو الإله الذي كان في السماء كلمة ثم تجسدت في بطن مريم ثم رجع الها كما كان فلو أن سائلا سأل أمتكم عن ذلك الاله هل صعد الى السماء بذلك الجسد وما زال كما هو يأكل ويشرب وينام أم صعد بلا جسد لما أجابوه الا بما لا برهان لهم به ومنهم من يقول ان

الأب والابن والروح القدس إله واحد فلو قال لهم قائل هل كانوا جميعاً في بطن مريم وعلى كتفها وكانوا مقيمين مدة اقامة عيسى في الارض ثم قتلوا وصلبوا لعجزوا عن اثبات ما يجيبون به اذ الاله الحق لايعجزه شيء منما يريد امضائه ولو عجز عن شيء يريده لما كان الهاً وطالما تضجر عيسى عليه السلام من فساد أحوال قومه الذين عاش بين أظهرهم زمناً طويلا وما تمكن من اصلاح شؤونهم فهل يتصور العقل السليم أن ثلاثة آلهة يتكونوا في جسد واحد ويهتموا بشأن من شؤون مخلوقاتهم ثم يعجزون عن إمضائه ان هذا لهو الضلال البعيد

فمن أين تخلقت هذا الاتفاق الذى ادّعيته مع علمك بأن المسلمين أجمعوا على أن الاله الحق هو واجب الوجود لذاته وأنه مخالف للحوادث لا يشبهه شيء ولا يحويه مكان ولا تمر عليه الازمان لا تأخذه سنة ولا نوم ومعنى قولهم واجب الوجود لذاته أنه أول لا بداية له وآخر لانهاية له فما صدر عن سبب ولا نشأ عن علة وما أوجده موجد وعيسى عليه السلام بخلاف ذلك فانه ما نشأ الا عن ثلاثة أشياء الكلمة ومريم والروح التي نفخت فيه كما نفخت في آدم بل وفي الطير الذى نفخ فيه عيسى بل وفي جميع الموجودات اذ كل موجود لولا نفخ الروح فيه لم يكن حياً وما كان للإله الحق أن ينفخ الروح في نفسه ولا أن يلقي بنفسه الى مريم تحمله وتصلح شؤونه اذا بال أو تفوط وما كان له أن ينام متوسدا حجرا وهو مالك السموات والارض وما كان له أن يعتزل خلقه جائعاً أياماً طويلة مثريضاً الى غير ذلك من الشؤون التي أجزتم وقوعها من الإله الحق واستحال المسلمون حصولها منه وعليه فكيف اذاً يكون الاتفاق ألا ترى أن محمداً صلى الله عليه وسلم نادى في دعوته مخاطباً أمتكم قائلاً بأمر ربه (ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً

ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) فما وجد عجيباً الا الذين هداهم الله من القسيسين والرهبان الذين قال الله فيهم (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون) اذا فدعواك الاتفاق بين الامتين أكذب من دعوى مسيلمة الكذاب وما هي الاتمويهات تريد بها خدعة قوم لا يفقهون وما كيد الكافرين الا في تباب وأما دعواك اتفاقهما على أن أبويهما كانا خاطئين فما هي الا دعوة جريم متهم اعترف بجريمته وادعى اشتراك قوم برآء معه في عمله الفظيع ظاناً أنه بذلك يوقعهم في عقاب تلك الجريمة حيث لم يعلم بأن أولي التحقيق وذوي التدقيق يميزون الباطل من الحق ويوقفون كل عامل على حقيقة عمله وان أنكر المرتكبون فيا أيها المجرم الجاني على أبويه أما علمت أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين تأدبوا بآداب القرآن الكمالية وتنسكوا بنسك السنة المحمدية تأبى مكارم أخلاقهم ومحاسن آدابهم أن يفتروا على الله الكذب بالوقوع في عرض أبوين كريمين بعد ما صرحت آيات الله بما سيأتي بيانه وأن يكونوا مصدر الغيبة لمن هما منشأ هذا الوجود الذي أشار اليه الحق تبارك وتعالى بقوله (هو الذي أنشأكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء) أما علمت أن أمة محمد يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى ماذكر قصة آدم مع ابليس في مواطن كثيرة من القرآن الا ليعلمهم بما وقع له من الشيطان حتى يحترزوا منه ويحذروا غوائل مكره ووسوسته لأنه ما خلق الا عدوًا لهم ولأبويهم لا لتنقيص حال آدم بل لاعلان شرفه وكماله ونقص عدوه وانحطاط قدره كما سنمليه لك فمن أين يكون الاتفاق أما علمت أنه شتان بين الولد البار بوالديه المحافظ على شروط الآداب الدينية والعرفية وبين من أداه العقوق والطيش الى التجامل على أبويه بغير حق

حتى خرج عن حدود الادب مع ربه اذ يقول في حق عبد من عبيده أنا اجتبته وهديته ويقول ذلك الاحمق الوقح انه لخاطيء حيث لا يراعي ماله عليه من حقوق الأبوّة التي هي أقرب سبب لوجوده ان هذا لظلم عظيم

يا هذا تالله لو أنك كنت أنت وقومك مِن مَن دخلوا تحت قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وكان لك حظ في ذلك التكريم الذي لم يبين الله في الآية ما هو لانه لو أراد به ما ذكره لجأ بالفاء لا بالواو فيما عطفه على قوله كرمنا فلو أنك تعقلت معنى التكريم الذي به كانت مزايا الانسان أشرف من مزايا كل المخلوقات ولو انك فطنت الى تسخير العوالم العلوية والسفلية له أنت وقومك لعلمتم كيف كانت منزلة آدم عند ربه ولقلتم كما قال القائل لو كنت آدم لأكلت الشجرة كلها مبالغة في استحسان ما فعله آدم لمطابقته لمراد الله سبحانه وتعالى منه من جعله خليفة في الأرض وايجاد من وجدوا من نسله من الأنبياء الذين هم ثمرة أغصان شجرة هذا الوجود وصفوة هذا النسل المبارك ومجلي أسرار الحق سبحانه وتعالى ومظاهر أنواره ولما خضتم في أعراضهم بجعلهم خاطئين ولما اتخذتم عقوق الأب الاكبر ديناً معتقداً لتفضيل المسيح الذي لولا وجود آدم لم يكن هو ولا أمه أيليق بسفهاء أمثالكم لا يساوون في الوجود شيئاً أن ينادوا بتنقيص نبيّ كريم أسجد الله له الملائكة وعلمه الاسماء كلها واجتباه وهداه وجاء من نسله بأصفياء لا يحصى عددهم لاجل تفضيل رسول من الرسل ما أعقب من نسله ذكراً ولا أنثى بل دخل المملكة التي تجمعت أطرافها وأكنافها وتزينت أنحاؤها بآدم وبنيه غريباً وخرج منها كما دخل وما تبعه فيما جاء به من المنهج القويم إلا اقوام قليلون وما كان الا قريب من الزمن

بعد خروجه منها حتي ضل متبعوه عن طريق الهدى وتشعبوا فرقاً واحزاباً فضلوا وأضلوا وما كان لهم من دين الا بغض النبيين وسب المرسلين وإعابة الانقياء من كل دين كما غدوتم عليه الآن أنتم وفلاسفة هذا الزمن الذى عمت شروره وانطمس بظلمات البدع المهلكة نوره فكأنكم تسبون آدم انتقاماً لما فعله بنوه بعيسى

فيا قليل الادب وكثير الوقاحة لو أن ملكا من الملوك قال لاحد أخصائه انك أخطأت في أمر كذا وان كان فيه صالح المملكة ولكني ما أمرتك به بل نصحتك أن لا تأتيه واست بكاره هذا العمل ولكن أدب العبودية يدعوك لعدم الاتيان به الا باذني اذاً فأنت مخطئ لاتباعك المغرى لك ونسيانك وصيتي فتحقق ذلك العبد حال خطيئته ورجع الي سيده مستعطفاً مراحمه فاصطفاه واكرمه وأعلن عفوه عنه معتذرا عنه بأنه ما فعل ذلك الا ناسياً فقام صعلوك أو صعاليك منمن لايحسنون الادب لانهم ما تعلموه قائلين انه لمخطئ وجريم اذا فمن ذا الذى يكون المخطئ الجريم المستحق للعقوبة والطرد المؤبد أظن أنك لاتخالفني في اعتقادى انهم من اخوان الشياطين

ياهذا أمن الادب أن تعتقد أن آدم وهو خليفة الله في أرضه مات وهو ساخط عليه وبقى مطرودا حتى ولدعيسي أظن ان ذلك لايتصور وقوعه لانه لو احاطت به خطيئته لما صح له وصف الخلافة ولا يجوز أن يعيش الخليفة عاصياً ثم يموت عاصياً ان هذا لفساد في العقيدة وخلل في التصورات الخيالية وانه لكفر بين فيمن اعتقده والله عزيز ذو انتقام

ياهذا أتظن أن الله سبحانه وتعالى كان يريد من آدم أن يقيم في الجنة بلا تناسل فعاند آدم القدر وفعل ما أخرجه من الجنة على غير مراد الله تعالى وجاء بهذا النسل المبارك بلا تعلق ارادة أزلية وحكمة صمدانية أم تتوهم أن

الله خلقه ليسكن الجنة هو وبنوه أجمعين حيث لا موت ولا فوت فجنى على نفسه وعلى بنيه بما جنى تالله لإن كان أحد هذين الاحتمالين ثابتاً في اعتقادك انك اذا لمن الجاهلين

ألا ترى أن بقائه في الجنة بلا تناسل في حكم المستحيل لأنه يستحيل على الله أن يخلق خلقاً لأمر مقصود ثم يكون غير ما أراده الله وكيف يكون ذلك وقد ثبت في جميع الكتب السماوية أن الله سبحانه وتعالى ما خلقه الا لأن يكون خليفة في الارض ولا معنى للخلافة الا التناسل والاستمرار حتى ينقضي الأجل ويقضي الله أمراً كان مفعولا فلذلك نقول ان آدم ما أتي فيما أتى به الا بما يوافق مراد الله منه وما نهاه الله عن الأكل من الشجرة نهي زجر وتحذير ولكنه نهي نصيحة لكيلا يكون له على الله حجة في هبوطه الى الارض ولبنيه في ما اقترفوه من الذنوب كما تنزلت الكتب السماوية بالنهي عن الخطايا ولكن الفارق أن الذي جاء به آدم أمر يترتب عليه نظام تام ووجود عام وأما ما جاء به ابليس وجنوده من أهل الخطايا فأحوال لا تنطبق على مصالح المتلبس بها فكان النهي لآدم نهي نصيحة كما ذكرنا لا نهي زجر بدليل قوله تعالى (لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فما أراد الله بالظلم هنا الا الظلم الذي أشار اليه بقوله (وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا) فما كان ذلك الظلم ظلم مخالفة ولكنه ظلم للنفس لتحملها ما لا قدرة لها على تحمله الا بمعونة الله تعالى كما يكون لك حبيب فتعرض عليه حمل ما يثقل عليه ثم تقول له لا تظلم نفسك بحمله مع أنك تريد حمله له لما فيه من المصلحة لذلك الحامل ولضرورة لزوم حمله ولم يكن من يحمله الا هو وإن الشيطان لأعلم منك في ما أغرى به آدم اذ قال له ما حكى الله عنه بقوله (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)

فما ترتب الخلود في النار والملك الذي لا يبلى في الجنة الا على أكل آدم من الشجرة وما كان العصيان الذي نسبه الله لآدم الا مخالفة النصيحة وجاء الله معتذرًا عنه بقوله (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا) يريد أنه ما عزم على عصيان الله ولكنه نسي النصيحة ثم تاب وتاب الله عليه وكان من أمره ما كان ولقد مات نبيًا طاهرًا مقدسًا شريفًا محبوبًا مبجلا له من كل عمل صالح من ذريته نصيب من الأجر وما عليه من خطاياهم من شيء كما تقتضي ذلك الرحمة الإلهية هذا هو اعتقاد المسلمين وما كان للمسيحيين في استعمال الادب والذوق مع أبيهم من نصيب إذًا فدعواك باطلة والله يقول الحق ويهدي السبيل

ياهذا إنا لما سئلناك في مبدإ المناظرة عن الغرض الباعث لك على الإقدام على ما قدمت عليه من الترجيح بين الرسولين مع علمك بأن كل أمة مع رسولها على اعتقاد لا يزحزحها عنه مزحزح زعمت انكم قوم مبشرون انتشرتم في أقطار الارض لترشدوا الناس الى معالم السعادة من مناهج الدين المسيحي وادعيت أنكم لاغرض لكم الا تخليص النوع الانساني من غوائل الخطية خدمة للانسانية فوجب علينا الآن البحث عن صدق عزيمتكم وصحة أعمالكم حتى اذا ما وجدناكم على ما تدعون لا يسعنا الا اتباعكم ان كنتم أولوا علم واسع أو نعاونكم على أعمال البر التي قصدتموها ان كنا فوقكم معرفة وتبيانًا فلذلك نقول

ان السعادة التي ذكرتها لا تطلب الا من وجهتين لجهتين الواحدة جهة الدنيا ولا يدركها طالبها الا من الوجهة التي تكون الروح فيها تابعة للجسد حريصة على توصيله الى مآربه ولذاته وهذا هو حال الارواح المسجونة في سجن الشهوات التي لم يكرمها الله بشهوده ولم يتداركها بمنازلات وجوده بل ناداها

الشيطان فأطاعته وقاسمها على الملاهي فخالفته وما خالفته وهـذه الوجهة تدعوا صاحبها لشدة الاشتغال بالاعمال الدنيوية والاهتمام بتحصيلها فلا يزال متفانيفي أعمالها حتى يأتيه الموت فتخرج روحه وهو في هوس لا تهجس خواطره الافيما كان مشتغلا به قبل موته وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يبعث المرء على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه وما قصدنا بالاعمال الدنيوية الا كل مطلوب من علم أو عمل يقصد به ادراك شيء من المطالب الدنيوية كالمال والجاه والرئاسة ورفاهة العيش وانتشار الذكر وغير ذلك من الملاهي التي تنسي الانسان ربه وعقباه

والجهة الثانية جهة الآخرة وما لها وجهة الا حيث يكون الجسد تابعاً للروح متفانٍ في مآربها ومطالبها العلية وليس لتلك الروح الطاهرة والنفس المطمئنة مطلب الا أن تصل الى أن تكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا تزال واقفة في موقف العبودية قائمة بأداء حقوق الربوبية حتى تنادى من وراء حجاب الحياء والخوف يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي منك ومنمن معك الى ربك راضية بكل ما أقامك فيه مرضية في جميع أعمالك فادخلي في عبادي الذين استراحوا من أثقال الهموم الدنيوية واجتمعت همومهم على أمر واحد وهو تصفية القلوب من الشواغل التي تشغلها عن معالم القرب ومناهج الحب وادخلي جنتي التي جعلتها لهم محجلة وهي جنة المعارف التي من دخلها ووجد فيها مقرًّا ومقيلا أصبح كله نورا ولقي نضرة وسرورا وهـذه يا هذا هي معالم السعادة الابدية ومباديها فأي سعادة من السعادتين دعوتم الناس اليها وبأي لسان تدعونهم فان الداعين الى الله ثلاث رسول منذر ومبشر ووارث للرسل مرشد ومثبت وعالم يرشد بمقاله لا بحاله فان ادعيتم أنكم المبشرون فهذه وظيفة

الرسل التي سد بابها وتقطعت بموت أهلها أطنابها فلا يدعيها الا كل أفاك أثيم اذ التبشير لا يكون الا عن وحي الهيّ وما للوحي في هذه الازمان من طريق

وان ادعيتم أنكم من ورثة الرسل وجئتم مثبتين لأمتكم أو لجميع الامم فهاتوا برهان الوراثة النبوية فان الانبياء ما تركوا منا يورث الا القول والحال والعمل ومن فاته أحد هذه الثلاثة لا يقال له وارث وان حاز الباقين وقد كان حال عيسى وعمله وقوله كما تعلم ان كنت به خبيرا فأرني من هو الذي على قدم عيسى منكم حتى نصدقكم فيما تدعونه والا فكلكم كاذبون ومن زعم منكم أنه وارثه فاليحي ميتاً وان ادعيتم أنكم قومٌ علماء من الطبقة التي حازت علماً وعملا ونقصت حالا أو حازت علماً ونقصت الحال والعمل فما نحن لكم بمؤمنين لأننا قد أثبتنا ما أنتم عليه من الجهل المهلك ثم انا لو سلمنا لكم العلم جدلا وأقررناكم على دعوة العلم فما الذي أدخلكم في حيز دائرة قوله تبارك وتعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

فالي أراكم تركتم أنفسكم في مهواة من الغرور والطيش تهوى بكم فيها أفئدتكم الى مكان من الجهل سحيق لا أنيس لكم فيه الا كل شيطان مريد من شياطين الجن والانس ثم تركتم أهليكم وعشيرتكم الاقربين وأفراد أمتكم الذين هم أكثر أفراد الامم عددا راتعين في مراتع اللهو غارقين في لجج الخطايا جاثين تحت أثقال الاوزار مكبلين بقيود الشهوات قد أسرتهم الدنيا وألقتهم في غيابة حُبِّ الطمع والحرص وطول الأمل حتى ضاقت عن تحمل الاسرار صدورهم وأظلمت قلوبهم فلا تطرق ساحتها الانوار ولا تحوم حولها الاسرار وقد أحاطت بهم خطاياهم فلم يجدوا ملجأً تتسع له صدورهم الا مجامع اللهو وموارد الاشقياء وقد تجاذبتهم الشياطين الى أبواب جهنم فتسارعوا اليها طوعاً واختياراً فهم لا يذكرون من المسيح عليه

السلام الا اسمه واسم أمه ولا يتذكرون شيئاً منما ذكرهم به وان ذكر لهم من مآثره شيء سئمته قلوبهم وآذانهم والتوت الى ما يسخط الله أعناقهم فلما اذا تركتموهم في خوضهم يلعبون وتركتم أنفسكم في طغيانكم تعمهون وأقبلتم على سفهاء الجهلاء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم ان تبعوكم كانوا أسوأ منكم حالا وأقبح أعمالا وما كان ذلك الا لتضاعفون بهم أعداد أهل الخزي والخذلان من أمتكم وان الفرقتين من الامتين لأثقل على الارض من كل ثقيل ولولا حلم الله لخسف بهم ولكنكم قوم تجهلون فهلا أصلحتم أنفسكم ثم رجعتم الى قبائلكم وعشائركم فأصلحتموها وانقلبتم الى هذا العدد الكثير من الامة التي ليس لها بالمسيح وصلة الا مجرد الانتماء فأنقذتموهم من أيدي الشياطين ان كنتم من أهل الرشاد والسداد تالله ما علمنا لكم من مماثل إلا قرناء السوء من الشبان الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فخالفوا النصحاء واتخذوا عقوق الوالدين طريقاً الى موارد الفساد والإفساد حتى أفسدوا كثيراً ممن لم يعطوا قوة التمييز وما هذا الا سبيل شيطاني تمجه الشرائع ولا تميل اليه أهل المروآت

يا هذا أتتوهم أن المسيح عليه السلام يحب كثرة أعداد أمته وهم فاسقون أم تظن أنه يرضي بفساد عقول العوام الذين صيرتموهم في ريب من أمر دينهم فصاروا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأصبحوا الى الكفر أقرب منهم للإيمان وأصبح المنكر بينهم معروفاً وما ذلك الا نتيجة إفسادكم وثمرة تمويهاتكم لا والله إن المسيح عليه السلام لعليكم من الساخطين يا هذا إن كنت تظن انكم ما أتيتم بعملكم هذا الا خيراً فذلك هو الظن الذي قال الله فيه (إن بعض الظن إثم) وإنه لغلط في العلم وفساد في العمل وذلك لان أعمال البر تنقسم الى ثلاثة أقسام في نوايا العاملين قسم لإصلاح الدنيا وقسم

لإصلاح الآخرة وقسم يقصد به وجه الله تعالى والله جل شأنه وتقدست أسمائه يعلم السر وأخفى وهو وحده المطلع على خبايا النفوس وطويات قلوب العمال فيثيب العاملين على قدر اخلاصهم في النيات وتصاريف عقولهم في الأعمال فربما نوي العامل خيراً ولكنه لم يصادف بعمله مواقع القبول لغلطه في توجه النية وانا لو وجهنا أبصار البصائر الى عملكم هذا لم نجد له عند الله ميزاناً لأنكم إن تكونوا مسخرين لهذا العمل لاصلاح أمر من امور الدنيا بغير نظر الى الآخرة كنتم من الخاسرين أعمالاً لقوله صلى الله عليه وسلم ان أخسر الناس صفقة يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره وإن كنتم في عملكم هذا ترجون الدار الآخرة فما هذه هي الطريق التي يصل بها العامل الى المفاز في آخرته لما سنبينه لكم من الأسباب وان كنتم تبتغون بذلك مرضاة الله تعالى وتظنونها أعمالاً خالصة لوجهه الكريم فما مثلكم الا كمن يريد أن يرضي ملكاً بالخوض في أعراض عماله وتقويم الفتن فيما بينهم وبين رعاياهم لظنه أن الملك غير راضٍ عن هؤلاء العمال فيكون ما يفسده ذلك الأحمق فوق ما يظن أنه أصلحه بكثير اذاً فأنتم الذين قال الله فيهم (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)

يا هذا ان من الاسباب التي بها أصبح عملكم ممقوتاً انكم ماسلكتم في سيركم هذا مسالك العقلاء الذين وفقهم الله للارشاد الى الطريق المستقيم اذ المرشد الذي يريد ارشاد الضالين الى طريق لابد له من ثلاثة أشياء أحدها عمل صالح تظهر نتيجته على حاله فيكون ذا سكينة ووقار وحياء من الله وخوف ويكون دائم الصمت قليل الكلام كثير العبادة قصير الامل طويل الفكر لا يأكل الاعن

جوع واذا أكل لا يشبع الى غير ذلك من شعار الصالحين ومن كان هـذا حاله يكون كثير البكاء والحزن مشتغلا بنفسه ذاكرًا لعيوبها عالمًا بدسائس الشيطان محترسًا من الغلط في جميع أعماله وأقواله غير مجادل ولا مناظر ولا محاور ونحن لا نجد فيك ولا فيمن نراهم من شيعتك من هو على شأن من هذه الشؤون

الثاني مما يحتاج اليه المرشد قول حسن ومن أوصاف القول الحسن ان لا يتجاوز الحكمة والموعظة الحسنة وان الحكمة تأبى أن يقوم مجنون أو مجانين في وجوه أمة هي خير الأمم كما بينا سابقًا ينادي عليها بانها ضالة وعلى رسولها بأنه كاذب كلا انها لحكمة شيطانية ان ادعيتموها انما الحكمة المرشد هي بيان الطريق التي اذا سلكها المسترشد يدرك مفاوز النجاة وما وجدنا لكم من طريق الا قولكم من آمن بالمسيح أنه إله وقرأ الانجيل دخل ملكوت الرب وهـذا كلام غير معقول اذ الايمان ماهو الا مفتاح المتابعة لمن آمن به المؤمن في كل أوامره ومناهيه وما رأينا منكم من اقتفى أثر المسيح كما ذكرنا غير مرة اذًا فبينكم وبين الحكمة بون أو بين بعيد

الثالث أن يكون على بينة من ربه في جميع أقواله واعماله وأحواله بمعنى أنه لا يقول الا ما يرضاه الله ولا يعمل الا ما أمر به الله ولا يتلبس بحال الا بما يحبه الله وانكم لمسخطوا الله في غالب أقوالكم وأعمالكم وأحوالكم كما سبق بيانه من قبل فلذلك صارت أعمالكم ممقوتة حتى في قلوب العقلاء من أمتكم اذ لا يرتضي قوم عقلاء من سفهاء أمتهم أن يتعدوا على أمة أخرى لهدم قواعد دينها بغيًا وعدوانًا وما ربك بغافل عما تعملون

يا هذا أليس من الجهل المركب والعبث أن تقولون ان من آمن بالمسيح وقرأ الانجيل يدخل ملكوت الرب أليس الغالب من أمتكم يقرؤون الانجيل

ويؤمنون بالمسيح فهل كلهم دخلوا ملكوت الرب فلو أنك زعمت ذلك لتوهم الناس أن ملكوت الرب الذي دخلتموه ما هو إلا حان لهو أو إطبل دواب تالله لا يدخل ملكوت الرب الا من مات الموتة الاولى وولد الولادة الثانية التي سأل سائلكم عنها العلماء وزعم أنهم ما أجابوه فألق سمعك إليّ فلا ينبئك مثل خبير

جاء محمد صلى الله عليه وسلم كما جاءت الرسل قبله يرشد الناس الى الطريق القويم فكان في القوم خاصة وعامة وهكذا كانت كل أمة من الامم اذ التساوي في الاستعدادات والقوابل ممنوع في مبدإ الخلق والتدبير الالهي فكان عليه الصلاة والسلام بما هو عليه من مكانة القرب وأنوار الاسرار وقوة الإمدادات يخرج من أراد الله هدايتهم من الظلمات الى النور باذن ربه بقوة ذلك المدد ولو بغير مجاهدة للنفس فكمل من الرجال على يديه كثيرون فلما أتي اجله أودع ذلك المدد قبل موته عليا رضي الله تعالى عنه وقال أنا مدينة العلم وعلي بابها يشير بذلك الى أن السر الذي يدخل به الراغب من أمته أن يدخل ملكوت الرب مستودعه علي رضي الله عنه ثم أودعه عليّ قبل موته أناسا لم يحتاجوا الى مجاهدات لقرب عهدهم بأصل ذلك السر وفرعه فلما تقادم العهد قل طالبوا ذلك السر وكان الراغب فيه ليس أهلا لتلقيه فاتخذ أمناء ذلك السر طريقا لتسهيل الوصول اليه لمن كان له استعداد لقبوله وما كان ذلك الطريق الا إماتة النفس بكفها عن كل شهواتها الهوائية ولا تتناسى النفس عاداتها الا اذا اعتزلت الاقران وتجنبت الاخوان وتركت جميع ما اعتادته من الشهوات فقرروا لها أهل البصائر النيرة قرارا محكم الشروط والآداب لعلمهم أن كل شابّ شاب على عمل ثبت حاله في ذهنه وصار له عادة لا بد وأن يتعسر تحوله عن ذلك العمل الا بمعالجة قوية كما هو معلوم بالمشاهدة في أحوال أفراد الامم اذ من المعلوم

الضروري أن كل حيوان سيما الانسان اذا ترك وشأنه وصار مطلق السراح لا يعوقه عن متابعة هواه في كل أقواله وأعماله وأحواله ومعتقداته عائق وأن كل نفس لا تنطلق الا الى ما يلايم هواها ولذلك كانت حكمة ارسال الرسل بما جاءوا به من القيود الشرعية هي كف النفوس عن ذلك الانطلاق فكان ذلك القرار الذي قرره القوم لتقييد النفوس سبباً لإمانتها الموتة الاولى ألا وهو التوبة بشروطها والخلوة بآدابها المعلومة التي دونوها فى كتبهم وما قرروا للخلوة أربعين يوماً الا لان الجنين فى بطن أمه لا يتنقل من طور الى طور الا بعد الاربعين فاتبعوا سنة الله في خلقه فكان الداخل في الخلوة كالميت المقبور لانه ترك الدنيا وراء ظهره وخرج منها كما يخرج الميت وأخرج جميع مألوفاته من قلبه وكان الخارج منها مولوداً جديداً لانه انتقل من طور الجهالة والرذائل الى طور الطهارة والفضائل وصار في أمة غير الامة التي كان فيها بمعنى انه يكون غريباً بوصفه بين الناس بعيداً عنهم بحاله وان خالطهم بأعماله ومقاله ألا ترى ان شارب الخمر الزاني حليف الملاهي الذي تحلوا له كل قبيحة متى تاب ورجع الى ربه وتشبه بالمتقين تمج نفسه كل ما كان عليه من الرذائل بمجرد التوبة وتعود الطاعة فكيف بمن وجد مرشداً مؤدباً هذبه واخرجه من عوائده بما يخرج به القوم اتباعهم وعالجه بما تعالج به امراض القلوب فكم من فيلسوف كان يمقت اعمال ارباب البصائر فلما سبقت له السعادة وادركته العناية الربانية عالجوا امراضه فرآى فى نفسه كانما اغتسل من خبائث اقذار واخرج من ظلمات اوزار الى طهارة اسرار ومظاهر انوار

وما من سالكٍ في طريق القوم الا وكان همه طلب هذه الموتة وتلك الولادة من ربه كما فعل الامام الجليل ابن عربي محيي الدين في بعض صلواته

على النبي صلى الله عليه وسلم سائلا ربه بعد كلام طويل كقلائد الدرر حيث قال واخرجني اللهم بالصلاة عليه من ظلمة أنانيتي الى النور ومن قبر جسمانيتي الي جمع الحشر وفرق النشور وأفض عليّ من سماء توحيدك اياك ما تطهرني به من رجس الشرك والإشراك وأنعشني بالموتة الأولى والولادة الثانية وأحيني بالحياة الباقية في هذه الدنيا الفانية وأجعل لي نورا أمشي به في الناس فأرى به وجهك أينما توليت بدون اشتباهٍ ولا التباس ناظرا بعيني الجمع والفرق فاصلا بين الباطل والحق دالاً بك عليك هادياً باذنك اليك يا أرحم الراحمين

فهل تنقل لما قاله هذا الامام معنى أو في أمتكم من له أثر مثل هذه الآثار التي ان أردنا جمع بعضها عن عدد قليل من خيار هذه الأمة العظمى لما وسعتها آجالنا ولا أوراقنا تالله انكم اذا لخاسرون

يا هذا لو أن رجلا ممن ولدوا هذه الولادة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطلق الحق تبارك وتعالى صراحه الى جدالكم وجاء يتكلم عنما خرج به من خلوته من الاسرار والأنوار اللاهوتية ومعارف الفتوحات الربانية وسمعتموا عنه قولا مفهوماً لطاشت ألبابكم دهشاً وتفطرت أكبادكم تعطشاً الى تلك الاسرار وتشوقاً الى معالم تلك الأنوار

يا هـذا ان أمثالكم لا يرى من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا عواماً جهلا أوفقها لا فقه لهم لانهم ما تفقهوا في دينهم أو علماء غير عاملين أوفلاسفة مذبذبين محجوبين وكل أفراد هؤلاء الطوائف قد قاربوا أن يكونوا امثالكم لما سبق في علم الله تعالى من انتشار الفتن وتعاقب المحن وأما أخصاء الامة فلا سبيل لكم الى الوصول الى معالمهم لأنهم قوم ترفعوا عن الخوض في قذورات هذا الوقت مع الخائضين

ولقد شبه القوم ذلك السرّ الذي سبقت الاشارة اليه بسرّ ذكر النخل في النخل فكما لا يربوا ثمر النخل الا بالتلقيح المعلوم كذلك لا يربوا ايمان المؤمنين الا بذلك السرّ ولقد دللنا بك على طريق الرشاد وتبين لكم الحق فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فاليكفر والله لا يهدي القوم الظالمين

ياهذا ان من القواعد المعلومة عقلا وعرفاً ان كل قادح في شخص وكان ذلك الشخص أرقى منه منزلة وأرفع قدراً وأوسع جاهاً واكبر همة وأسمى معرفة وعلماً يكون عند الناس ذلك القادح من الحمق والسفه على جانب عظيم ثم من المعلوم الضروري أنه لا يقاوم مقاوم ذا جاه ومنصب أو قوة بأس أو ذا ملك الا اذا كان ذلك المقاوم فوق من قاومه فيما قاومه فيه بكثير والا كان أخرق متعرضاً لمقت الماقتين وسخط الساخطين وقدح القادحين وشماتة الشامتين واني لسائلك سؤالا لا أريد منك به الا أن تصدقني الحديث وتأتيني بجواب مطابق للواقع والا كنت ممن لا خلاق لهم ومقتك الحاضرون فعند ذلك تحول حال ذلك الرجل وتبدل سمته واصفر لونه لما فهمه من فحوى هذه المقدمة فناداه المسلم يا هذا استحضر عقلك وزحزح عنك طوارق الخجل وأفق من غمرات دهشتك عسى ان تتخذ من طريق المتاب الى ربك سبيلا

يا هذا أإذا جئنا نوازي حالك بحال محمد صلى الله عليه وسلم ونقيس أعمالك بأعماله ونطابق ما بين أقواله وأقوالك هل نرى بينك وبينه أدنى موازنة فخجل ذلك المسيحي وأنشد المسلم قائلا

فأين النجوم وأين التخوم ... وأين الحصى من لآلى الدرر
وهل كالصعاليك ملوك الورى ... وعميا العيون كذات الحور

كلا والله لا يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ولا يستوي الاحياء ولا الاموات ولكن الاغبياء لفي ضلال كبير

ثم قال يا هذا أما عمل محمد صلى الله عليه وسلم فمعلوم للعلماء وأما علمه فمفهوم للعقلاء وأما قوله فأنت فيه بين أمرين فان اعتقدت أن القرآن من عند الله فقد ألزمت نفسك الحجة وكنت من الخاسرين ان لم تقم من مقامك هذا تائبًا مؤمنًا معتقدًا ان الله تعالى كفاه شر من آذوه وانه ما اوتي في حديثه الا جوامع الكلم وان ظننت انه من محمد صلى الله عليه وسلم فقد نادى قائلا (لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا) وقد مضى على هذا النداء القرون التي تعلمها وما جاؤا بمثله وما أظنك تساوي نعل امام من اكابر المتقدمين اذًا فما بينك وبين محمد الا كما بين النجوم والحصى أو ما بين السماء السابقة وبين المراحيض في المنازل السفلية فما الذى جرئك على هذا العمل القبيح الذي أثبت للقوم جهلك وأساء حالك ومآلك وتركك بين الناس فاقد الفكر ضائع العقل مظلم القلب كثير الكلام فيما لا يعنيك متعرضًا لما يخزيك فهلا وزنت نفسك قبل أن تزن ملوكا تركوك وقومك وتركوا لكم الدنيا بخزافيرها من أزمان مضت وقرون تقضت وما زاحموك الآن في جهلك ولا ناقشوك على سيئ فعلك وما بينك وبينهم أدنى نسبة ولا أقل رابطة اذ هم سفراء رب رحيم ارسلهم بتعليمات علموها خلقه ثم تركوهم وانصرفوا فما شأنك بينهم الآن

يا هذا ما هي النسبة التي بينك وبين عيسى عليه السلام وما هي رابطة الأخوة أو الولاء التي تركتك تلقي نفسك فى مقعر جهنم لأجله حيث لم يكن عنك ارضيا ولا عالما بما تعمله ولا موصيا بإتيانه فانه ما جاء الا ليبين سبل النجاة لا

لإيقاع الفتن في الامم والخوض في اعراض النبيين وما هي دواعي الحسد والبغضاء التي صيرت قلبك في لهب شديد وغم مديد من محمد وأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما ساويت شراك نعله تالله ان نعله لو فقدته لوجدته في خزائن ملوك جعلوه من أجل ذخائرهم وكم عقدت له مواكب وأكب على تقبيله بعد موته أمراء وفضلاء لا يرضون أمثالك سواساً لدوابهم تالله لو كنت أيام كان الايمان قوي الاركان قويم البنيان بأهله السعداء المتقدمين الذين ما كانت تأخذهم في الله لومة لائم لألجأوك الا مجامع القضاء والمحاكمة وفصلوا بك ما يفعل بساب الملوك وعائب الديانات ولكن لكل أيام دولة ورجال وان لك من الله لموعداً لن تخلفه والله لا يخلف الميعاد ثم التفت المسلم الى من حضروا وأنشد قائلا

أقول وقد دارت رحي الحرب بيننا ... لمن لا يقي أمعاه الا بسوئته

أتطرق غاب الليث تبغي فريسة ... وما أنت الا مضغة لفريسة

فقال وجدت الغاب والليث غائب ... خلياً من الاشبال في حين غيبته

فقلت تجنب مربض الاسد انه ... مكامن حتف لا يزار لخشيته

فقال اذا حمّ القضا غيب الحجا ... وكم ساقت الأقدار غرّا لحفرته

ثم قال المسلم واعجباً لقدرة الله سبحانه وتعالى في تصرفاتها اذ جعلت الاختلاف قوام هذا الملك وأرضت كل عامل بعمله فلو أننا سئلنا نازح المراحيض لقال أنا أنعم بالاً من الملوك وكل حزب بما لديهم فرحون وكما جعلت لكل مأكول طعماً ولكل منظور لوناً ولكل مسموع معنى ولكل مشروب مذاقاً كذلك جعلت لكل متفكر مسرحاً ولكل متبصر تصوراً ولكل عامل اعتقاداً وجعلت الناس شعباً متنوعة في الاعتقادات وقبائل مختلفة في القوابل والعادات وكل ميسر لما خلق له والله على كل شيء قدير يسوق كل حيّ الى مقره الذي

أعدته له سابقة استعداده بمعونة امداده وما ربك بظلام للعبيد

فيا أيها الملأ تحفظوا من ورطات أوحال هذا الزمن بالتمسك بعروة الدين الوثقى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وخذوا من القرآن رشادكم وارشادكم واسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما أهل الذكر إلا من وصفهم الله تعالى في سورة الفرقان بقوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) الى آخر السورة وفي سورة المؤمنين بقوله (قد أفلح المؤمنون) الى آخر الآيات وفي مواطن كثيرة من الكتاب الحكيم وتجنبوا أهل الزيغ والدبدبة الذين أراد الله سوء افتتانهم فسلط عليهم الجدل ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ولا تخرجنكم تمويهات محرري الصحف عن دينكم فانهم ما أرشدوكم الا الى مواقع التهلكة ان كنتم تعقلون فانهم ليسوا بالاتقياء ولا بالاصفياء ولا بالامناء على الدين وما جعلهم الله قدوة للمسلمين ولكنهم قوم قاموا في كل ملة لنشر الاخبار وإثارة الفتن وهتك المستور وغواية كل مغرور صنعتهم الاغراء ومرتعهم الغوغاء ودأبهم تتبع العورات وديدنهم زخرفة العبارات وماهذه الا أوصاف الاشرار وعلامات أهل النار والله لا يحب كل معتد أثيم فعليكم بالدين فما من شيء حدث في هذا الزمن أو يحدث الا وبينه الله في كتابه وبين طريق الخلاص منه أو بينه النبي صلى الله عليه وسلم في جوامع كلمه وقد أعذر من أنذر وما للناس على الله من حجة بعد الرسل وكان الله بعباده خبيرًا بصيرًا واختتم خطابه بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وانهزم العدوّ وانصرف القوم باكين على أسف شديد يسألون الله اصلاح الحال وحسن المآل وان الله بالناس لرؤوف رحيم

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين